

جورج أمادو

فارس الرمال

ترجمة محمد عيتاني

جورج أمادو

فارس الرمال



Attahy 86

الطبعة الأولى ١٩٨٦

الى الاصدقاء
بدر

رسالة من السيد قاضي الأحداث إلى هيئة تحرير « صحيفة المساء »

السيد مدير ، صحيفة المساء ، مدينة سلفادور ، ولاية باهيا

مياضي العبر
تحيات منه

اسمى لدى تصمحي صحيفتكم في احدى الميقات النادرة من الفراع التي تتركها لي
سناغي المنعده والمسورة لي وطيفي المرممة. اطلعت على رسالة من حصرة قائد شرطة
الولاية الذي لا يكفل لي تقديم جهوده لخدمة العدالة وراحة المواطنين. ويعرب في رسالته
هدد عن الدواع التي لاجلها لم تتمسك الشرطة حتى هذا اليوم من تشديد الحملة القيمة
صد أولئك الأولاد الخائعين الذين يعيتون فساداً في مدينتنا. وينشرون فيها ما يشه
اناء من المرائم والارتكابات المختلفة. ويرر السيد قائد الشرطة موقفه باعلانه بأنه لم
يكن يملك أمراً من محكمة الاحداث لاجل القيام بعمل موجه ضد جرائم الأولاد
وصحهم واني. دون رغبة مني في أن اصح المسؤولية بأي حال من الاحوال على قيادة
الشرطة. انوالعه والتي لا تكفل. أرى نصبي ملزماً، في صالح الحقيقة (هذه الحقيقة
داتها التي نصصها كمنارة نصي، طريق حنائي نصوئها النقي جداً) بأن اعلم بأن العذر
الذي ابداه قائد الشرطة عبر صحيج انه عبر صحيج. يا سيدي المدير، لأنه لا يدخل
في صلاحيات محكمة الاحداث مطاردة واعتقال الاحداث القصر الخائعين، بل أن
صلاحيات هي تعيين المكان الذي عليهم قضاء فترة عقوبتهم فيه. وتعيين قبة لمابعة أية
محاكمة يمدون اليها التح ولا يعود للصلاحية محكمة الاحداث القبض على الخائعين
الصغار، بل أن صلاحيتها تقوم في السهر على مصيرهم اللاحق (أي بعد اعتقالهم اثر
جرائمهم أو صحهم) وإن على السيد قائد الشرطة أن يسطر الانقاء في المكان
الذي يدعوني اليه الواجب ذلك لأنني فلوال خوس عاماً من حداثي القبة الناصعة. لم

الدار العدمي الروح والرحمة لقد قصي ولندي العوس هناك سنة الشهر ولوم اتدر المسألة لاخره حيا من هذا الحجم لست ادري سا اذا كان المسكين سينتطيع أن يعيش هناك سنة أشهر أخرى دون أن يموت إن اقل ما يتعرض له أولادنا في تلك الدار الاصلاحية هو أن سألوا صرناات تبرل بهم مرتين أو ثلاث مرات كل يوم. إن مدير ذلك المكان يقضي حياته في شرب الخمر إلى حد أنه يتدحرج على الارض وهو يحب أن يرى الوسط بلدلع على حسبات اولادنا وقد رأيت هذا المشهد مراراً عديدة، لاهم لا يهوس بنا، وهم يقولون اهمم يفعلون ذلك لتربية الولد المثل الصالح. لهذا أرحمت ولدي من هناك. وادا أرسلت صحيفتكم إلى هناك شخصاً بالسر. فسوف تستطيع أن يرى نوعية الغذاء الذي يباله المساكين الصغار. والعمل العمودي الذي يرمعون على القيام به، ولترى كيف أن رحلاً مكتمل الرحولة لا يستطيع احتمال الصرناات وأعمال السخرة التي تصيب الاطفال. ولكن لاجل رؤية هذه المشاهد، يجب أن يذهب أحد محرريكم إلى هناك بصورة سرية وبإلا إذا علم المسؤولون عن السجن بوجود سدوب صحفي فإهم سيفهرون المكان وكأنه جنة مشرعة الابواب للنعم ادهوا إلى هناك فوراً وسترون من الذي يقول الحق ولأجل هذه الاشياء، وغيرها أيضاً يوجد فرسان الرمال، وأفضل أن أرى ولدي بينهم، على رؤيته في تلك الدار الاصلاحية الدائمة الصمت وادا اردت رؤية شيء، ادهوا إلى هناك، وكذلك، اد كنتم تريدون، تستطيعون التحدث مع الات حرره بيدرو الذي كان كاهماً هناك، ورأى كل ما تحدثت عنه. وهو يستطيع أيضاً أن يروي ذلك وبعبارات افضل. لست املكها.

ماريا ريشاردينا - خياطة

(نشر في الصفحة الخامسة من صحيفه المساء، من
اعلامات، وسدوب صورة ولا تعليق)

انلكا أو أتأخر أو اتردد في تمييز واجبي

كما أنني، خلال الأشهر الاخيرة المنصرمة، ارسلت إلى دار الاصلاحية عدة احداث خائفين أو متشردين. وليس خطأي اذا كان هؤلاء الأولاد الأشقياء يعرفون وإذا لم يكونوا يستعيدون من مبادئ العمل التي مجدونها في هذه المؤسسة التربوية، وبالتالي فإهم يحلون عن حو يتعمسون فيه الامن والعمل، وحيث يعاملون بأكثر عطف إهم يعرفون من الاصلاحية ويصحبون أكثر فساداً أيضاً، وكأن المثل الذي نلقوه كان شيئاً وصاراً ملاداً* إن هذه مشكلة يعود حلها إلى علماء النفس وليس إلى لذي لس سوى فضولي صعب بهم بالطفلة

وما أريد أن اعمله واضحاً كاللور. هو أن السيد قائد الشرطة يستطيع الاعتاد على افضل دعم من تحمكة الاحداث لتشديد الحملة ضد الاحداث الجانحين أو المجرمين

ابي المحض سعادتك اعجابي وتقديري

قاضي الأحداث

(نشر في صحيفه المساء، مع صورة لتمامي
الأحداث وتعمق الطرائي صعب)

رسالة من أم خياطة

إلى هيئة تحرير « صحيفه المساء »

سيدي المحرر

اعدرون للاخطاء الاصلاحية والحموية، نظراً لأني عبر معتادة على مسألة الكتابة، وإذا كنت ابوجه اليوم الكم، فذلك لاجل وضع لقاط على الحروف لقد رأست في لصحيفة. معالاً عن سرقات فرسان الرمال، واثر ذلك على الفور جاءت الشرطة لتعدني بأنها سلاجهم وحينئذ جاء السيد قاضي الاحداث ليذكر أن من سوء الحظ كثيرا أن هؤلاء الأولاد المغتقلين لا يصحبون افضل في الدار الاصلاحية التي كان يرسل إليها الاولاد المساكين ولأجل التحديث عن دار الاصلاح المذكورة اكتب هذه السطور بخطي الردي، وانسى أن ترسل صحيفتكم اقدر محرريها ليرى الدار المذكورة ولذي يرى كيف يعامل أولاد المقراء الذين شاء سوء حظهم أن يبقوا بين حراس تلك

رسالة من الأب جوزيه بيدرو

إلى هيئة تحرير «صحيفة المساء»

السيد مدير تحرير «صحيفة المساء»

تحياتي على اسم يسوع المسيح

قرأت في صحيفتكم ذات الشهرة الكبيرة رسالة ماريا ريشاردينا التي تذكرني بصهي شاهداً قادراً على تقديم إصاحات حول حقيقة حياة الأولاد المحسوسين في «الدار الإصلاحية». وأنا مصطو للجروج من الغلام الذي أعيش فيه، لأقول لكم بأنه - لسوء الحظ، ان ماريا ريشاردينا هي على حق، إن الأولاد في الدار الإصلاحية مبرصون احدث معامون كما تعامل 'نوحوش الضارية، هذه هي الحقيقة لقد نسي درس السيد محرر الغلط جداً. وبدلاً من كتب ود الأولاد، نظرائ طيبة. فإن 'سبحان مجموعيه' أكثر مردأ، وعقوبات صرب متواصله، وعقوبات جسدية. عمر اسبابيه. وقد همت برعاية تلك الدار الإصلاحية لاجل إلى الأولاد تعريبات الدين، وقد وجدني قدس الاستعداد لقبليها. وذلك طبعاً سيحة للعضاء التي تترام في هذه الغلوب العسة. احديرس كثيراً بالشعفه وإن ما رأيت هناك، يا سيدي المدير، يمكن أن يقدم بحري كذاب كامل. مع الامتنان الكبير لاشاهكم من خادم المسيح

الأب جوزيه بيدرو

(رسالة نشرت في الصفحة الثالثة من «صحيفة المساء» تحت عنوان «من هذا صحیح؟» وسردت معلقاً).

رسالة من مدير الدار الإصلاحية

إلى هيئة تحرير «صحيفة المساء»

السيد رئيس تحرير صحيفة المساء»

تحياتي

لقد شعنت باهتمام كبير الحملة التي شنها الصحيفة الالامعة في باهيا، هذه الصحيفة

التي تدرسوها بذكاء قوي جداً، ضد المواقف المعروفة لـ «فرسان الرمال» وهي عصابة من الأولاد الجائعين والمحرمين التي تحيخ المدينة وتحميها من العيش باطمئنان. وعنى هذا النحو قرأت رسالتي إتيام ضد المؤسسة التي أديرها، والذي ينبغي التواضع، والتواضع وحده حصرة السيد المدير، من أن أصفها بـ «التسودجية»، وسالسة للرسالة التي وجهتها امرأة طيبة من الشعب، فليست أهم التة بها فهي لا تستحق أن أورد عنيها ولا نكت. وهي إحدى النساء الكثيرات جداً اللواتي يأتيين ويردن ااحيلولة دون تخمس لدار الإصلاحية للمهمة المقدسة لتربية أولادهم. وهن يرينهن لي لسارع. وفي الوجل. وحين يخضع هؤلاء الأولاد عندنا حياة نمودجية. فإن هؤلاء النساء هن أول من يتشكى لي حين أن عليهم أن يلقوا أيدي لدين يصنعون من أولادهم رجالاً حريين وهن يأبئن باديء ذي بدء نطلبت الحصول على مكان لأولادهم. وائر ذلك تتفق النهم وهم يشفقن أيضاً لي نتاح السرقات الذي كان الأولاد محضرونه إلى البيت ويستهنين الأمر إلى الاحتجاج ضد الدار الإصلاحية ولكن كما سبق لي القول، سيدي المدير، فإن هذه الرسالة لم تثر اهتمامي، اها ليست من امراضة من الشعب، التي سمعهم العمل الذي احققه، على رأس هذه المؤسسة، وإن ما أثار 'راسعيا' يا سيدي المدير، هو رسالة الاب جوزيه بيدرو، رجل الدين هذا الذي يسى وطائف رسالته، وينطلق بالهجوم ضد المؤسسة التي أديرها، هوجهاً إليها 'مهمات خطيرة'. إن هذا الكاهن (الذي اسمه كاهن الشيطان، إن سمحت لي بمرحه حصرة يا سيدي المدير) والذي اسفل وطيفه للدخول إلى مؤسستنا التربوية في أوقات موعودة في الصوامع الخاصة بهذه المؤسسة، والذي صده شكوى حدية، أريد أن اعنيها لقد حوص الأولاد القاصرين الذين عمدت الدولة بهم إلى، على التسود وتلعصان. ومنذ أن دخل إلى هذه الدار اارذات حالات التمرود ومخالفة الانظمة إن الكاهن موضوع الحديث ليس سوى مخرص، ذي طبع سيء شريبر. يقوم بتحريرض الأولاد القاصرين الموضوعين تحت حراستي. ولأجل هذا، أريد أن أسعه من الدخول إلى دارنا الإصلاحية.

ومهما يكن يا سيدي المدير. فإنني انسى حساني كلمات الحياة التي كنت إلى هذه لصحيفته. وأنا الذي اطلب اليك أن ترسلوا بحوراً إلى «الدار الإصلاحية» واني اعبر هذه مسألة تخصي شخصياً، وسيكون في وسعكم على هذا النحو، ومعكم جمهور القراء، أن تحصلوا على معرفة دقيقة وصادقة وثقة حقيقية حول كيف يعامل الأولاد القاصرون الذين تتجدد بمسائهم ويحققون النجس في لدار الإصلاحية لأولاد

تحت ضوء القمر
في مستودع قديم مهجور

المستودع

تحت ضوء القمر . في مستودع قدم مهجور ، كان الأولاد نائمين في الماضي كان هنا البحر وعلى الحجارة الكبيرة السوداء لأسس المستودع ، كانت الامواج تنحطم نارة في دوي وطوراً تأتي لتصرب الحجارة بنطف. وكان الماء يمر من تحت الحخر ، الذي يرقد تحته الآن أولاد عديدون ، تضيقهم خصلة صفراء من ضوء لغير ومن هذا الحخر ، خرجت سفن شراعية لا تحصى ، مع شحنتها . وكان بعض هذه السفن هائلة الصخامة ، مدهومة بالوان عجيبة ، تخفي إلى مغامرات الاجتيازات البحرية . وها كانت تأتي السفن الحلى . عنابرها السفلى ، والرسو تحت الحخر ذي الألوان المأكلة اليوم . وفي السابق . أمام المستودع ، كان يمد سحر البحر الاوقيانوسي ، وكاتب اللسالي امامه خضراء معتمة ، شبه سوداء ، هذا اللون الغامض السحري الذي هو لون البحر في الليل .

واليوم يرى الليل صبراً تجاه المستودع ، وذلك لأنه تجاه الليل تمتد الآن رمال أرصفة المرفأ . وتحت الحخر ، لم يعد هناك هدير للأمواج لقد احتاحت الرمال كل شيء وأرجعت البحر عدة امتار وثيناً فثيناً ، وبسطه . غطى الرمل واجهة المستودع . ولم يعد السنين الشراعية ترسو هنا أبداً . وكانت تبحر من مكان لآخر بجمولاتها . ولم يعد العبيد دور العضلات للاردة يعملون هنا ، وكان قد أنسى بهم نظام الرق . ولم تعد تساعد . تحت الحخر اعبية يجاز امثاله الحنين . وقد امتد الرمل بلونه المضيء امام المستودع . ولم يعد يملأ المستودع الواح حداً بالبالات والطرود والأكياس والصدائيق . ومعنى لمستودع مهجوراً . وسط الرمال ، بقعة سوداء على بياض ارضه الميناء وطرائق اعوام . ظل المستودع مأهولاً فقط بالخردان التي كانت تختاره في حري مريح وطائش وكانت تعصم حطب اوائه الصخمة . وكانت تسكه سيدة عليه وحدها . وفي عهد معين ، دخل اليه كلب منترد . كان يبحث عن ملجأ ضد الريح والمطر ولم يمه في ليله الأولى . اد اتبعه في تمريق الخردان التي كانت تمر امامه مسرعة . وقد نام اثر

ذلك بصع ليالٍ ، ناهجاً في وجه القمر ، عند الصبح ، ذلك لأن قسماً من السقف قد انهار ، وكانت أشعة القمر تنفذ بحرية ، مصبة أرض المستودع المصنوعة من الواح عنبقة لكن هذا الكلب كان ملائماً كلاً دون صاحب ، فهدب بسرعة ناحياً عن مأوى آخر طلبات باب ، أو اعماق جسر ، أو عن جسد ذاقه لكلفة . واستعادت الخردان مملكتها ، حتى اليوم الذي اختار فيه « فرسان الرمال » هذا المستودع المهيور ليكون مقرّ لهم

في بيت العهد . كان الساب قد انهار من جانب ، ودخل احد « فرسان الرمال » إلى المستودع . حين كان يتسكع يوماً عبر املاكه الواسعة . (ذلك لأن كل منطقة رمال الارضه ، كما هي جميع أنحاء مدينة « ناهيا » كان يملكها « فرسان الرمال ») .

وكان هنا أفضل موضع تماماً للوم منه على الرمال العساري . أو في المستودعات الأخرى حيث كانت المياه تتصاعد حيناً عالياً جداً بحيث تهدد باغراقهم ومنذ تلك الليلة . أخذ قسم كبير من « فرسان الرمال » يتآمرون في المستودع القديم المهيور ، في صحنه الخردان تحت القمر الأصفر وأمامهم كان الانساع اللانهائي للرمال ، وهي بياض لها نهاية نه أيضاً . وفي العبد . كان البحر الذي تنكسر امواجه على ارضفة الميناء . ومن الباب . كانوا يرون أضواء السفن التي تدخل وتخرج . وعمر السقف ، كانوا يرون السماء المملأ بالبحوم ، والقمر الذي يعبر ارجاء السماء والأرض بضياءه الناهر .

وبعد وقت قصير ، نقلوا إلى المستودع مخزون الاثياء التي كانت تتجمع لديهم من عمل النهار ، وقد دخلت حينئذ إلى المستودع اشياء عربية ، لكنها ليست مع ذلك أكثر غرابه من هؤلاء الأوالاد اللصوص الاثقياء من جميع الألوان والاعمار . على اختلافها ، منذ من التاسعة حتى السادسة عشرة - الذين كانوا في الليل يتمددون على الأرض ، تحت الجسر . مائمين ملائماً بالريح التي تهب حول المبنى وهي تزعزع ، وتغير آهني بمياه المظ التي كانت كثيراً ما تنسلهم ، لكنهم يبقون انهم موجهة نحو أضواء السفن وادانهم منبهة إلى الأعالي القادمة من المراكب ...

وهنا يسكن أيضاً زعيم « فرسان الرمال » يدور بالا . ومنذ وقت مبكر ، منذ سنة الخامسة ، أطلق عليه هذا الاسم . وهو اليوم في الخامسة عشرة من عمره ومنذ عشرة اعوام وهو يتشرد وينسكع في طرقات « ناهيا » . وهو لم يعرف أبداً أي شيء عن امه ، وقد قُتل أبوه برصاصة وتقي بيدور وحيداً ، وقصى سوات في التعرف إلى المدينة . وهو اليوم يعرف كل دروبها وطرقاتها وشوارعها ، ولا يوجد حجارة أو محل لبيع الفواكه أو مقهى لا يعرفه . وحين انحرف في « فرسان الرمال » (إن الارضه التي بنيت

حديثاً قد اجندت برملا جميع اولاد المدينة المشردين) كان زعيم « الفرسان » هو رايموند ، « الكاوكول » (أي الخلاسي الغرابلي) ، وكان فتي هجيناً قوي البنية واغفر الشايط

وم يحتفظ رايموند ، الكاوكول ، رأساً طويلاً مركزه كزعيم « الفرسان الرمال » . وكان بيدور بالا اكرم شاطراً منه بكثير . وكان يعرف كيف يربط الضربات ، ويعرف كيف يفتش الآخرين . وكان يحمل في عينه وفي صوته سلطه الزعيم . وفي أحد الايام ، نشاجرا وكان من سوء حظ رايموند أنه اسئل موسى وروح بها وجهه بيدور وهي ندبة بعين في وجهه هائياً . وتدخل الآخرون ، ونظرا لأن بيدور كان بلا سلاح ، فقد اعطاه زفاقه اخق ، وانتظروا ، أعلن بانتقام لم يتأخر في الحقيقة . وفي احدى الليالي ، حين أراد رايموند أن يصر به باراندوا ، وقف بيدور إلى جانب الرخي الصغير ، وانقلب الحصان على الأرض (أي رايموند وبيدور) ، وانخرط في صراع أكثر اثاره من أي صراع سبق أن شهدته رمال المرفأ . وكان رايموند أكرم جسماً وأكثر سناً ، لكن بيدور نالا ، وشعره الاشقر المنظير في الفواء ، والندبة الحمراء في وجهه ، كان ذا رشاقة مائلة في توجيه الضربات ، وهكذا تغلب على رايموند . ومنذ ذلك اليوم . لم يتخل رايموند فقط عن قيادة « فرسان الرمال » بل توك المكان كله ، والتحقق أمر ذلك بالمعمل على احدى السبع .

وقد اعترف الجميع بمخرف بيدور بالا في القيادة واندها من ذلك الحين بدأت المدينة في سماع الحديث عن « فرسان الرمال » ، اولئك الاولاد المشردين الذين يعيشون من السرقة . ولم يعرف أحد اطلاقاً العدد المضبوط للولاد الذين يعيشون على هذا النحو . وكانوا أكثر من مئة ومن بين هؤلاء ، كان أكثر من اربعين ينامون في المستودع القديم .

وكانوا يلدسون اسماً نالية ، وقدرين وانشاء جاعين باستمرار ، وعسدايين ، يظفون الشنائم ، ويدخون اعماق السجائر ، وكانوا في الحقيقة سادة المدينة ، اولئك الذين يعرفونها بكاملها ، والذين يجبوها كليلاً ، وكانوا هم شعراءها .

ليل «فرسان الرمال»

كان ليل السلام الكبير القادم من ارضة المرقأ قد لف السفن الشراعية، والقلعة، وسد الميناء، وتمدد على طلعات الطرق وأبراج الكنائس. وكانت الاجراس قد كفت عن الزنين لصلاة الغروب، ذلك لأن الساعة السادسة كانت قد دقت منذ حين طويل، وإذا كان القمر لم يبرز بعد في هذه الليلة النيرة، فقد كانت السماء ملأى بالنجوم. وكان المستودع منفصل المشهد عن بياض الرمال التي تحتفظ بآثار خطى «فرسان الرمال»، الذين كانوا قد ناموا. وفي البعيد، كان النور الضعيف لـ «بورنا دو مار» (وهي حانة للحجارة) يبدو وكأنه يختصر. وكانت ريح باردة تهب مثيرة الرمال ومعوقلة سير الرجي حواو غراندي الذي كان يتأهب للدهاب إلى النوم. كان يضي منحنياً تحت الريح مثل شرع زورق. كان طويل القامة، وهو أطول فتيان العصاية، وأقواهم أيضاً. وكان شعره قصيراً وعضلاته صلبة، رغم أنه لا يكاد يتجاوز الثالثة عشرة من عمره. انقصت أربع منها في أوسع حريات الحياة. راکصاً في طرقات «بابها» في صحبة «فرسان الرمال». ومنذ بعد ظهر ذلك اليوم، حين صرع أبوه، وهو سائق عربة عملاق، في صدمة من شاحنة، في حين كان يقود حصانه إلى جانب الطريق، لم يعد النقى حواو غراندي إلى بينهم الصغير في «المورو»^(١). وأمام جوار «كانت المدينة الغامضة الملأى بالاسراو، وقد ذهب لغزوها، إن مدينة بابها، السوداء والبقية. هي غامضة تقريباً مثل غمرص البحر الاخضر واملائه بالاسرار. ولأجل هذا بالذات، لم يعد حواو غراندي إلى بيته أبداً. وقد انضم وهو في التاسعة من عمره إلى «فرسان الرمال»، حين كان «الكابوكل» (الخلاسي ويوندو) ما زال هو الزعيم والمجموعه غير معروفة، ذلك لأن الكابوكل لم يكن يجب أن يتعرض للخطر. وبسرعة كبيرة، فرض جوار غراندي نفسه كواحد من زعماء المجموعة، ولم يفته أبداً حضور أي من الاجتماعات التي كان ينظمها القادة لتدبير المرات. وليس ذلك لأنه

كان له مواهب خاصة كمصمم لحوادث السطو هذه، ولا حتى كان لديه ذكاء، حاد بل بالعكس. فقد كان التفكير بسب له رجماً في الرأس، وكانت عيابه تحرقانه حين يحاول التفكير. وكان يصاب بذلك الألم أيضاً حين يرى شخصاً ما يسي، معاملة الصغر. حينئذ كانت عضلاته تنتثر، وكان يصبح مستعداً لأية مشاجرة لكن قوته العضائية فائته. كانت تحملته متبهاً مروهو الحاسب، وكان الصبي «دو الرجل الرخوه» يقول عنه:

- به رجي عي لكنه قوة جارة

وكان الصبان الأصغر سناً، جمع هؤلاء الصغار الذين يصلون إلى الجماعة منعصم بالخوف. كانوا يحدون في «حواو غراندي» أقوى حاتمهم وأصلهم وكان يبدور الرجم يجب أيضاً الإصغاء إلى حواو. وكان هذا يعرف جيداً أنه لا يجوز على صداقة سدور بسب فونه. أي حواو غراندي، بل إن يبدور كان يجد أن الرجي «سب». ولم يكن سبب من التردد

لك طبيب. يا غراندي وأنت أفضل منا أنتي احكك كثيراً. وكان سرست يلفظ على ساق الرجي الذي كان وجهه يحمر من التأثر والسرور.

كان حواو غراندي يتقدم نحو المسودع. وكانت الريح تعرق سره. واعمى هو يكن مفاوذه صد الريح التي كانت ترفع الرمال في الهواء. وكان حواو في حانة «بورنا دو مار» يشرب كأساً من الخمر مع «حبيب الله الطبيب» الذي وصل اليوم من بحار الهبوط. حيث يوجد أحد المصائد.

وكان «حبيب الله الطبيب» هو أشهر لاعب كايوبورا^(٢) في المدينة ومن الذي لا يحترمه في «بابها». «وما من أحد يستطيع أن ينافس «حبيب الله الطبيب» في مصارعة الكار» - حتى ولا ربه مولييت الذي حاز شهرة عظيمة في ريتودي جانيرو. وقد روى «حبيب الله الطبيب» الاحجاز، وأبلغ بأنه سيظهر في اليوم التالي في «المستودع» لمواصلة اعطاء «دروس في مصارعة الكايوبورا التي يتلقاها سيدورو ببالا، وحواو غراندي، «القط» كان حواو غراندي يذبح سحابة ويسير نحو المستودع وكان انترقد فيه الكثيرين يطلع في الرمل. لكن الريح، كانت تقوم بمحو آثار خطاه وكان الزيجي

(٢) الكايوبورا: طريقة مصارعة ولدت من رغبة للزواج، وقد احتفلت معها بالابحاف والتي تعاصب حركتها. هذه حرفة حرفة مسرف حاصه. وهذه المصارعة التي تشكل اصغار الرشاقة على الفرة هي المصارعة الوطنية المماراة

(١) «المورو»: نة يعيش عليها الريح في الكواح.

يفكر في أن طرق البحر خطيرة في هذه الليلة المهرجاء الريح.

كان جوار غراندي يمر تحت الجسر، وتفرس قدماء في الرمل متلاهباً أن يسبح احسام الرفاق الذين يرقدون هنا. ودخل إلى المستودع، وقد تردد لحظة، ونظر حتى يتبين ضوء شمع «الاستاذ» وكان هذا في ابعدها روية من المبنى. أخذ في القراءة على صوته. «كان حواء غراندي يفكر في أن هذا الضوء هو اضعف وأكثر نراقصاً من ... في حانة «بورتا دي مور» وأن «الاستاذ» يصف بصره لكثرة قراءته هذه الكتب المنظوعة بأحرف صغيرة واتمه حواء غراندي نحو «الاستاذ» ورغم أنه، أي جوار، كان ينام دائماً عند باب .. ر-ع، مثل كلب حراسة، واخترق قرب يده، لتلافي أية مساعنة.

كان يصيح مائراً بين جماعات الفتيان التي تتناوش، وبين الاولاد النائمين، ووصل إلى قرب «الاستاذ»، وقرع على جانيه، وراح يراقب القراءة المنتبهة للشخص الآخر.

إن جوار - جوزيه «الاستاذ»، منذ اليوم الذي سرق فيه كتاباً من على رف منزل في حي «بارا» قد اعتز استأذاً في هذا النوع من السرقة، بيد أنه لم يقم أبداً ببيع الكتب التي كانت تنكس في احدى زوايا المستودع، تحت قطع الأجر، لكي لا تعرفها الخردا. كان يقرأها كلها نظماً اقرب إلى الحمى. وكان يجب أن يعرف الاشياء، وكان هو نفسه الذي يروي، في كثير من الليالي، للفتيان الآخرين قصص الماعمرين، والبحارة والشخصيات البطولية والاسطورية، وهي قصص كانت تشجد هذه العيون المنهجة نحو البحر أو نحو طلععات المدينة، في تعطف إلى الماعمرات والبطولة كان حراو - حوريه هو الوحيد بين فتیان «فرسان الرمال» الذي يقرأ بصورة صحيحة، ومع ذلك لم يقص في المدرسة سوى عام ونصف، لكن الممارسة اليومية للقراءة قد أبعضت حباله كلياً، وربما كان هو الوحيد بين رفاقه، الذي لديه رعي معين لما يوجد من بطرقة في حيوات الناس. وهذه المعرفة وهذه القدرة على رواية القصص قد أكتسب احترام «فرسان الرمال» له، رغم أنه كان صغير الجسم، نحيفاً وحريناً، وشعره البني يتساقط على عيبه الضيقين الحسرتين (سيوب). وقد لقب به «الاستاذ» لأنه تعلم في احد انكتب المسروقة الغيام بعض الاعلأب الحسرية، مع متاديل ودراعهم، وكذلك لأنه بدى روايته القصص التي كان يقرأها، وكنيراً غيرها كان يتخيلها، كانت لديه القدرة العظيمة والعامضة بالاسرار. لتقلهم في عوالم متعددة، وكانت لديه القوة لجعل العيون المترجعة لـ «فرسان الرمال» تبرق متألقة كما تتلألأ وحدها نجوم ليل

«بابها» ولم يكن يدور مالا يقرر شيئاً دون أن يستشير «الاستاذ» وكنيراً ما كان خيال «الاستاذ» هو الذي ولد أفضل خطط السرقة ولم يكن احد يعرف مع ذلك، أنه سيأتي يوم، بعد اعوام كثيرة، حيث سيعلمه أن يروي في لوحات ستير رعب البلاد، قصة حيوات «فرسان الرمال»، وكنير من القصص الاخرى لرجال يتاضلون ويعانون الكثير من المتاعب والأمسى. ربما كانت دون أبتنها (2) وحدها، أو معها «ماي دي ساتو» (3) هي التي تعرف ذلك، والتي تسروي معاسرات الابطال الزنوج والخلاسيين في ليالي العواصف.

ظل حواو غراندي وقتاً طويلاً يسطر إلى الآخر وهو يقرأ. وبالنسبة للزنجي، لم تكن هذه الحروف تعني أي شيء. وكان بصر الزنجي ينتقل من الكتاب إلى ضوء الشمعة المتراقص، ومن هذا إلى الشمر الشمعت «للاستاذ» وانتهى به الامر إلى التعم، وسأل بصوته الخار الملي: - أهذا جميل يا استاذ؟

حول الاستاذ نظره عن الكتاب، وربت يديه التحفة المعروفة على كنف الزنجي، أكثر المعجبين به حرارة وقال، انها قصة رائعة يا كيري العظيم.

والتعمت عبا الأستاذ.

- أي قصة عمار؟

- انها قصة زنجي مثلك تماماً. وهو زنجي وقوي في الحقيقة.

- هل ترونيها لي؟

- حين انتهي من قراءة الحكاية، سوف ترى أي زنجي عظيم هو نطلها ...

وعاد ليستنرق في صفحات الكتاب واشمل جوار غراندي سيجارة رخيصة، وهدم في صمت سيجارة اخرى «للاستاذ»، وراح يدخل، مترفعاً كما لو أنه كان يسحر في قراءة الآخر، وعبير المستودع كان ينتشر صوت صحكات، وتشريرات، وصحبات. وكان حواو غراندي يتبصر بوضوح صوت «ذي الرجل الرخوة»، الذي كان بصر صريراً ويغبحن. كان «ذي الرجل الرخوة» يتكلم عالياً ويضحك كثيراً. وكان هو جاسوس المجموعة، ذلك الذي كان يعرف كيف يدخل طوال اسبوع في

(2) دون أسيها، حراًياً. السيدة أبيت

(3) «ماي دي ساتو» وماي دي ساتو، كونه العلووات العيشية (أو النجبية، وهي عبادة الإشباء الحسرية) للذين الرهي. وهؤلاء الكهنة كانوا على حد سواء، سا، أي ماي دي ساتو، أو الرجال، ماي دي ساتو، أي بالنسبة أم القديس أو أبو القديس.

احدى العائلات ، متظاهراً بأنه غلام طبيب صغير اضاعه اهله في الانساع العدواني للمدينة

وكان امرح . نُفد لاجل ذلك ، ذي الرجل الرخوة ، لكنه عاد عليه ابصاً عطش لهبات عائلات يويه على عنة منازل ، مسكبياً حزين المطهر ، يستعطي قليلاً من الطعام المأوى لأجل لينة . والآن وسط المتنوع ، كان « ذو الرجل الرخوة » يسخر من العظ . الذي اصاع بهراً نظوله في سرقة خاتم بلون نسذي ، دون أية قيمة ، لأنه ححر مريف دو جمال مريف أيضاً

وكان مد مر اسوع و ، القطه قد الملق جمع الناس قائلاً . لقد رأيت احد تلك الخواتم المرافعه ، يا احبي الكبير ، الذي لا يملك منه حتى المطران . انه خاتم ملائم تماماً لأصعبي ملائم كلياً أنها الاح . وسوف ترى حين سأحضره
- من أنه واجبه زحاحه

- في أصع احد الحمقى وهو شخص يدين جداً يستقل كل يوم قطار بروتناس ، في اسفل حي سانابرو

وقد عجب ، القطه ، اخيراً وسط الرحة الشديدة في قطار الساعة السادسة مساء ، في سحب الخاتم من أصع الرجل النديس ، محتبياً وسعد المرح والمرح الذي ساد القطار عند صراح الرجل الضخم حين نَس سرقة خاتمه . وأظهر « القطه » الخاتم في اصبعه الأوسط لرفاهته من « هرسان التومال » .

وكان « ذو الرجل الرخوة » يضحك

- هل يمكن لشخص عاقل أن يعرض نفسه للنسجن لأجل قذارة كهذا الخاتم . انه منظم تقدر

- وماذا يهتك أنت من هذا ؟ أنا بروق لي هذا الخاتم ، وهذا كل شيء .

- انك تجلس هنا كلاجن مع هذه القذارة .

- ولكن بالعكس ، فهو لطيف جداً في اصعبي . ولدي فكرة أخرى لأسرق خاتماً اجمل منه أيضاً

وكان الفيان يحدوثون أيضاً طعماً عن النساء ، ورغم أن اكثرهم سناً لا يكاد يتجاوز السادسة عشرة من عمره . وكانوا في سن مبكرة يعرفون اسرار الحب .

إن بيدرو نالا ، الذي دخل ، قد حسم المجادلة التي شئت . وترك حواو غراندي ، الاساذ في قراهته ، واقترب من الرجم . وكان « ذو الرجل الرخوة » يضحك لوجهه ، متنقياً بكلمات في صدد الخاتم . ودعا بيدرو ، واتجها بتبعها حواو غراندي ،

عنه الرواية حسب يوحد . الاسناد ،

- نعال ادن . ابها . الاساد .

وجلسوا اربعتهم . واشعل « ذو الرجل الرخوة » عنت سحارة بمنساره ، وراح يندبها فبنا بلده وكان . حواو غراندي ، يمعص القسم من البحر الذي كان يرى عبر الناب ، يراء الرمال وتكلم بيدرو

- إب غوزنيس من الحى (١٤) قد حدثني اليوم .

- هل هو بريد أيضاً سلسله ذهبية ؟ وفي المرة الاخيرة وتوقف « ذو الرجل الرخوة » عن الكلام

قال بيدرو . كلا ، بل انه بريد قنعة ولكن من اللسد المعني أما فبعه القش فلا ساوى سلسله وهو يعول ان هذه لا يمكن غسلها . وكذلك ..

- ددا أيضاً هكذا قاطعه مجدداً « ذو الرجل الرخوة » .

- وكذلك فإن القبعات الثالثة جداً لا تناسب

- إب بريد فبعه فاحرة من اللسد . لا عمر وعلى كل حال ، فحس تعمل معه في حسارة وهو لا يجود علينا حتى نَس دنوس .

- لا تأمن يا « ذو الرجل الرخوة » . إذا كنت تريد اسير في المسألة : ذهب . ولكن دعنا نربط المسألة بصورة منصفه وعاصلة

- « أفل اني لا أريد المص في هذه العملة بل اقول فقط ان العمل من أجل حبي يسرق المومسات ، ليس عملاً مناسباً . ولكن اذا كان بروق لك

- إب يقول بأنه هذه المره سيكون سحياً معاً . وسيقدم ملاً يتساوي جهداً . لكنه لا يريد سوى فبعه من اللسد ، فويه وحديده واسن ، « ذو الرجل الرخوة » سوف يسصع . مع آخرس ان تأخذ مسألة على عاتقك وعداً مساءً ، سيربيل غوزنيس إلى هنا مسجدهم من الحى ١٤ ، خصل التوقود وأحد القبعات

- ان المكان المناسب هذه العملة هو دور السها هكذا قال . الاسناد ، وهو

يذهب مع « ذو الرجل الرخوة »

- إن سنها « فيكوريا » هي مكان بعصده الناس الاعياء

واسدى « ذو الرجل الرخوة » حركة اذراءه ويكنسي الاسر الدخول إلى أروقة لسها ، والعثور على قبعات نالتأكد . وهذه الدار هي مقصد الناس من ذوي البسر

والعنى من أعلى مسوى من الناس

- وهناك رحاك الشرطة أيضاً

- هل تمكك الشرطة؟ إن حراس دور السينما يكتفون بالفتوح على الأفلام،
وممارسة لعبة التخنة

- هل تأتي معي أبها والاستاذ؟

- سأتى لا سيما وأنا في حاجة إلى قفحة جيدة.

وأضاف بيدرو نالا.

- خذ في رفعتك من تويد من الغنيان، يا ذا الرجل الرخوة. باستثناء الطويل
و القطع الذين لدي معها مشروع لأجل الغد.

والفتوح جوو غراندي:

- ابها عملية مع حبيب الله الطيب.

- لقد سبق وحدثني عنها. وقال إنه جاء هذه الليلة لأجل مصارعة الكابوريا.

والتم بيدرو نحو ذي الرجل الرخوة الذي كان ينحسب ليدير مع صاحبه الفتوح

سكر الشعير، تشكيل الفريق من الصبيان الذي سيذهب في اليوم التالي للبحث عن

قبعات. وقال له بيدرو:

- انتبه، يا ذا الرجل الرخوة.

وتبه الغنيان إن أنه اذا انتصح امر احدهم فعليه أن يفارق هذا المكان نهائياً.

ويجب أن لا يعود إلى هنا اطلاقاً.

وطلب بيدرو سيجارة، ومد له جوو غراندي واحدة وكان ذا الرجل الرخوة،

الذي صار بعيداً، كان يدعو سكر الشعير، وراح بيدرو يبحث عن القطع، وكان

يرى أن يناقش معه مسألة عملية اخرى. وعاد اثر ذلك، وتغدق قرب موضع جلوس

«الاستاذ» واستعاد هذا كتابه، وظل عاكفاً على قراءته حتى ذابت الشمعة كلياً،

وغمرت الظلمة ديك المكان. وسار جوو غراندي، وهدوه نحو الباب، حيث رقد

بطونه، والحجر في حزامه.

كان سكر الشعير غنيماً وطويلاً جداً، ودا وجه جاف شبه مصفر، وعينين

غائرتين محاطتين بالسواد، وشم فاعر، قليل الانبسام. وراح ذو الرجل الرخوة في

السحيرة سه، سائلاً اباه اذا كان قد بدأ صلواته، ثم تطرق إلى موضوع سرقة

القيعات، وقد انتفض على أنها سيصطحبان عدداً من الاولاد الذين اختاراهم بعناية.

وعسا مواضع العمليات وافتراق ذهب سكر الشعير، إلى موضعه المعتاد. في احدى

روايا المستودع، وكان بنام بصورة دائمة في الموضع الذي تشكل الجدران عنده زاوية

دائنة. وقد وضع هناك جمان اشياءه وبممتلكاته، وهي عمارة عن لحاف بال، ووسادة

مرفقا من فندق حيث دخل اليه في أحد الايام حاملاً ائمة احد المسافرين. وكان

لدى سكر الشعير، ايضاً يتطلون كان يلبسه يوم الاحد مع كفترة لا يمكن تحديده

لونها، لكنها نظيفة بعض الشيء، على كل حال. وكانت هناك صورتان لقسديس

موصوفتان في اطارين، وهما مسورتان في الجدار، كانت احدهما صورة للقسديس

اطوان يجمل بين ذراعيه الطفل يسوع المسيح، (كان اسم سكر الشعير هو انطوان،

وقد سمع من يقول ان القديس اطوان كان برازيلياً) والصورة الثانية كانت تمثل

سيدتنا ذات السبعة آلام، ذات الصدر المثقوب بالسهام، ولكن كانت توجد تحت

اطارها زهرة دابلة وتناول سكر الشعير، الزهرة، وشمها ووجد انها لم تعد تفوح

بأية رائحة. وحينئذ علقها في الكتفية (وهو نوب يلبسه الرهان على الكنتين والظهور)

التي كان يرتديها على صدره، واخرج من جيب سترة قديمة بلبسها، زهرة قرنفل حراء،

قطعة من احدى الحداثق، تحت نظر الحارس بالذات، عند لحظة الغروب النامضة

ووضع الغرنفلة بعناية وحب تحت اطار الصورة، في حين راح يتأمل القديسة بنظرة

منغصة بالحنان واطر ذلك على الفجر. وكعب يصلي. وفي البدء كان الغنيان الآخرون

ينهلون بالتسكيت عليه لرؤيته راكماً في الصلاة. ومع ذلك فقد اعتادوا على مشاهدته

كذلك. ولم يعد احدهم يعير الامر اهمية. وراح يصلي، وكان مظهره المعبر كزاهد

يرداد ظهوراً. وكانت يداه الطويلتان والتحيفتان ترتفعان امام صورة القديسة، في

حركة عبادة وكان كل وجه كأنما هو محاط بهالة وكان صورته يكتسب انقساماً

وارتعاشات يمجها رافقة، وكان يظهر مأخوذاً إلى خارج هذا العالم، وكأنه لم يعد

داخل المستودع التذاعي والمهد بل في أرض أخرى قرب سيدتنا. ذات الآلام -

السبعة، بيد أن صلواته كانت مسطحة، وهي لم يتعلمها في كتاب الصلوات: كان يطلب

في صلواته من العذراء مساعدته في أحد الايام لكي ينظمي الدخول إلى تلك الكلية

الديسية (السودرية) التي يتخرج منها الغنيان وقد تحولوا إلى كهنة وكان ذا الرجل

الرخوة قد رنت تفصيلاً عملية القبعات. واطر رؤية رفيعة وهو يصلي، تأهب

ليقبله بمزاح طيب. وهو مزاج كان مجرد التفكير به يدخل السرور والبهجة إلى قلبه،

وكان يشوش بذلك كلياً صلاته صديقه سكر الشعير. وحين وصل ذا الرجل

الرخوة إلى قرب المصلي، ورآه في حاله هده، رافعاً يديه في حركة عبادة وعباءة

مرتفعتان إلى مكان مجهول، ووجهه مضيء بنيرة الايمان، (وكان كأنه مغمور بهناء

ويعم لا حدود لها) تنوقف ذا الرجل الرخوة. ومامت الضحكة الساخرة على

شعبه، ولث يفضض صديقه، وهو شبه خائف. وقد اجتاحه شعور يعود بعض

الشيء إلى الرغبة إلى اليأس. وتوقف ذو الرجل الرخوة، ناظراً؛ ولم يكن سكر الشعير « يتحرك ». وكانت شعناة وحدها تنحركن كالبيطاء. وكان من عادة « ذي الرجل الرخوة » أن يسبحر معه كما كان يسبحر من جميع الصحاب الآخرين في المجموعة. وحتى من « الاستاذ » الذي كان يحبه، ومن بيدرو بالا الذي كان يعترمه، وكان كل واحد جديد إلى « فرسان الرمال » يكون لدى وصوله فكرة قاسية عن « ذي الرجل الرخوة »، ذلك لأن هذا الأخير كان يسارع إلى المهرة بقلب، صاحبكاً إزاء أية عبارة يتخطها العصور الحديدية. وكان يجوز لكل شيء إلى موضوع للضحك، وكان من أكثر العيان ولعاً سالتشارك والمشاورة، وكما كانت شهرته في الحبث راسخة بقوة. وفي أحد الأيام، قام بعملية تعذيب مخيفة ضد قسط دخل إلى المستودع القديم. وفي مرة أخرى، طعن بضربة موس غلاماً في أحد المطامير وذلك ليقط يسرق منه مروجاً مشوشاً. ولكن رفاق « ذي الرجل الرخوة » قد رأوه يوماً وهو يبتقي، يرود، خراجاً في ساقه بواسطة مطواة (عربية) وتحت انتظار الخمخ قام بذلك العمل وهو يصحك. وفي المجموعة كان كثيرون لا يحبونه. لكن الذين كانوا يعصون الثفر عن عيوب « ذي الرجل الرخوة » ويرتبطون معه في صداقة كانوا يقولون عنه أنه « شخص طيب ». وفي اعماق قلبه، كان يتألم لأحرامهم ومضائهم جميعاً. وكان وهو يصحك ويسبحر، ينش عن اساءة بنفسه. وكان ذلك بالنسبة إليه مثل بحد. وقد لبث ساكناً دون حركة وهو ينظر إلى « سكر الشعير » مسرعاً في صلاته وعلى وجه انصلي، مرت لمة حماسة شديدة، وشيء حسه مد اليد « ذو الرجل الرخوة » ابتهاجاً أو عظة ولكنه راح يتعرس في وجه الآخر. وغر به على تعبير لم يكن يعرف كيف يجده، وكان يقلص وجهه الصغير وفكر في أنه ربما غدا السبب لم يستق له أنداً في حياته أن يفكر في الصلاة ولا في أن يوجه نحو السماء، التي كان يذنبهم عنها كثيراً الأب جوزيه بيدرو، حين كان يأتي نرباريم. وكان ما يريد « ذو الرجل الرخوة » هو السعادة، والفرح والبهجة. وكان الفرار من كل هذا اليأس وهذه التعتاة التي تخوم حوهم وتحققهم. صحيح أنه كانت هناك طعناً الحرة الكسرة المتاحة في الطرق والشوارع الشاسعة الامعاد. ولكن كان هناك أيضاً لحلي عن أية مداعة عطوف، وفقدان كل كلام طيب، وهذا كله كان « سكر الشعير » يحث عنه في السماء، وفي الصور النقية. وفي الارها الدالمة التي كان يأتيها إلى سيدتنا - ذات الآلام - مثلها عمل شات ابي في حي المدينة الارستقراطي بافه الزهر إلى العناية التي يحسها، مهيداً للرفاق لكن « ذا الرجل الرخوة » لم يكن

يفكر في أن هذا يمكن أن يكفي. وكان ما يريد هو، شيئاً فورياً، شيئاً يجعل وجهه ناسياً ومتهجاً، ويمجره من الحاجة والعوز. ويجعله يسبحر من الجميع ومن كل شيء. وأن يحمره أيضاً من هذه الغصة وهذا القلق الخائق وهذه الرغبة في البكاء التي كانت تنبته في ليالي الشتاء. ولم يكن يريد الاشياء التي يسمى اليها « سكر الشعير »؛ هذه العبوة الحماسة في وجهه. كان « ذو الرجل الرخوة » يريد الفرح والهجة، وبدأ تداعيه، وحشاً ينسبه بكثير من الحب العاهة الجسدية (من عرجه) وجميع هذه السنوات (ورعاً لم تكن هي بالكاد سوى شهر أو اسابيع لكن بالنسبة له تستغل دائماً اعماراً طويلة) التي عاشها وحيداً في طرقات المدينة وشوارعها. يعامله المارة بقسوة وسخرية، ويهال أحفال الشرطة عليه بالضرب، بسبب وبدون سبب، وكذلك الاستغيا، الاكبر سناً. ولم تكن له أبداً عائلة وقد سكن في منزل خباز كان هو - يناديه « يا عرابي » لكن هذا كان يصبره أيضاً. وقد فر من ذلك المنزل منذ أن استطاع أن يذهب إلى الفرار يمكن أن يحمره. لقد عانى الجوع، ثم في احد الايام ساقوه إلى السجن. كان يريد مداعة حنان، وبدأ يحمو من عينيه ذكريات تلك الليلة في السجن، حين جعله الجنود السكارى يركض على رجله العرجاء دالراً حول الفرقة. وفي كل زاوية كان يوجد شخص مسلح مبراهة من المطاط الصلب، والائات التي تركتها هذه المراهات على ظهره قد امنت، ولكن في اعماق نفسه لم يبع أبداً الألم الذي اصابه في تلك اللحظة كان يركض في الفرقة مثل حيوان نظارده حيوانات أخرى اقوى منه. كان يجد صعوبة في تحريك ساقه العرجاء، وكان سوط المطاط يثر على ظهره حين كان التعب يحمره على التوقف يادى، يذبح بكياً كثيراً، ثم ودون أن يدري كيف جفت دموعه. وفي لحظة معينة، لم يعد يطبق فيها الضرب الذي يناله، سقط منهارة على الأرض. كان يحسه المشرف يرف دماً، وما زال حتى اليوم، يسمع ضحك الجنود وضحكة ذلك الرجل ذي الصدر الرمادية الذي كان يدخ سيجاراً. وائر ذلك. التقي بمرسان الرمال، (و الاستاذ « هو الذي جاء به، بعد أن نشأ بينها تعاطف على مقعد في حديقة) وبقي سبهم. ولم يطل به الامر حتى يميز ذلك لأنه كان يعرف، أفضل من أي شخص آخر، اصطناع المتمدن، وبذلك يمدح البيهورات (ومات المسازل) اللواتي كان يرسو بيوته بعد ذلك أفراد العصابة الذين كان قد اعلمهم بجميع المواضيع التي تحتوي على الاشياء النيسة، وبكل عادات الممرل. وكان « ذو الرجل الرخوة » يحس مارتباح حقيقي حين يصور كم سوف تلغته هؤلاء النساء اللواتي حسنه يتناً مسكيناً هكذا كان يتألم، لأن ذلك كان مليئاً بالتحفد والبعضاء. كان يحس برغبة سوداء في استلاك قنلة (مثل

تلك القنابل التي ورد ذكرها في قصة رواها لهم (الاستاذ) قبله تستطيع أن تدمر المدينة كلياً، وأن تنسف العالم بأسره. وعلى هذا النحو سوف يكون سعيداً. وربما سيكون سعيداً أيضاً إذا جاء شخص، ربما امرأة ذات شعر وحطه الشيب، وبدين ناعمين، تشده على صدرها، وتداعب وجهه وتجعله ينام نوماً هينياً، نوماً لا تعكره كوابيس ليلة السجين. على هذا النحو سيكون سعيداً، ولن يفهم الحقد قلبه بعد ذلك. ولن يشعر بعد ذلك بالازدراء ولا بالحد، ولا بالبخضاء ضد «سكر الشعير»، الذي يفخر، رافعاً يديه إلى الأعلى، بعينين ثابتتين، من عالم الآلام نحو عالم عائلته، تكشف عنه احاديث الاب جوزيه بيدرو.

اقتربت جلسة اصوات. ووصلت جماعة من اربعة غلمان تشق السكون السائد في ليل المستودع. قفز «ذو الرجل الرخوة» ضاحكاً وراء ظهر «سكر الشعير»، الذي استمر يصلي ودمع كفيه وقرر أن يترك إلى صباح اليوم التالي متعدد تفاصيل سرقة القبعات. ونظراً لأن «ذو الرجل الرخوة» يمشي النوم، فقد تقدم نحو جماعة الغلمان التي وصلت، وطلب سيجارة، معلقاً ببعض النكات حول قصة المرأة، التي كان يروها الغلمان الأربعة:

- صيضان س طرازك، من يمكن أن يصدق بأنكم قادرون على بطع امرأة؟ لا بد أنها خالة لعينة نلس ثياب بست صغيرة...

غضب الآخرون.

- لا تتظاهر بالمرء والبطاوة على كل حال. اذا شئت نعال لثرى معنا، وهكذا سوف نعرف إلى البنت التي تشكل قريبة جيدة.

صحك «ذو الرجل الرخوة»، ساخراً.

- اني لست من مكافحي الجرائم... ومضى إلى عمق المستودع.

لم يكن «القط» قد نام بعد انه يخرج دائماً بعد الساعة الحادية عشرة، انه الغلام الانيق في الحياة. وعند وصوله وهو غلام ابيض ووددي، حاول «الشارب اللطيف» الاستيلاء عليه، ولكن منذ ذلك الحين، كان «القط» ذا رشاقة وخفة هائلتين، ولم يكن نادماً، كما كان يظن «الشارب اللطيف» من عائلة برحوازية بل كان «القط» قداماً من الهود المالكو كيربوس، وهم اولاد يعيشون تحت جسور اراكاجو، المدينة البرازيلية. وقد قام برحلته متعلقاً بمؤخرة أحد القطارات، وكان مطلعاً على الحياة التي يمكن أن تعيشها جماعة من الاولاد المشردين وعلى كل حال، كانت سنة تربو على ثلاثة عشر عاماً. هكذا، استعمل فوراً السب الذي عامله من أهله «الشارب اللطيف» باحترام كبير. وكان «الشارب اللطيف» خلاصياً مبروع القامة، قبح الشكل، قدم

للغلام الواحد حديثاً سائحاً وأعطاه شيئاً من غذائه وارتاد المدينة معه. وائر ذلك، اشتركا في سرقة حذاء جديد كان معروضاً في واجهة دكان في حي الكندرجية، وقال «الشارب اللطيف»:

- كل مطمتناً، أنا اعرف أين يمكن أن يبيع هذا الحذاء.

التي «القط» نظرة على حذائه البالي.

- كنت بالفضط أريد أخذ هذا الحذاء لي. لقد بدأت احتاجه...

- أنت؟ أنا ارى أن حذاءك ما زال جيداً تماماً... هكذا صاح «الشارب اللطيف» والذي كان نادراً ما يلبس حذاء، وكان حافياً في ذلك الحين.

- سأدفع لك - نحن حصصك. ما رأيك؟

ألقى «الشارب اللطيف» نظرة على رفيقه. كان «القط» بلبس عقدة رقبة، وسترة مرقعة، وشيء هائل! كان يلبس حذاء «وجوربين».

فتناله ل «الشارب اللطيف» باهتمام: أنت تمارس الاناقة، اليس كذلك؟

- انني لم أولد لأجل هذه الحياة. لقد ولدت لأعيش في العالم العظيم، هكذا قال «القط» مردداً عبارة سمعها يوماً من حوآرات (تشيديد الواو) تجاري، في إحدى حانات اراكاجو.

مؤكد أن «الشارب اللطيف» كان يرى «القط» بطبعاً فانتاً. كان هذا ذا هيئة نزقة. ومع أن جهال لم يكن انشوباً، فقد كان يروق له «الشارب اللطيف» الذي، على كل حال لم يكن يروق للساء كثيراً، ذلك لأنه كان قصيراً ونحيفاً فكان يظهر اصغر بكثير من سن الثلاثة عشر عاماً، التي هي سنه فعلاً. أما «القط»، من جهته، فكان طويل القامة، وهو في الرابعة عشرة من عمره، وقد بدأ زغب ناعم ينبت على شفتيه، وكان يحس به كثيراً.

ورأى «الشارب اللطيف» ان من الأفضل ان لا يلبح في التقرب إلى الغلام، لكي لا يشتر حوفه. لم يكن يعرف أي شيء عن «القط»، ولم يكس يتصور أن هذا يدرك مقصده تماماً وأنه يتقرب اليه لكي يملكه.

سارا معاً هزياً من الليل، وهما ينظران إلى أضواء المدينة، (كان «القط» مذهولاً في الواقع)، وحوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، عمداً إلى المستودع. وقدم «الشارب اللطيف» «القط» إلى بيدرو، واصطحبه أي «القط» - إلى حيث ينام.

- لذي عطاء هنا، وهو كبير بحيث نسمح لنا نحن الاثنتين.

رقد «القط» وتمدد «الشارب اللطيف» إلى جانبه. وحين ظن أن الآخر قد أغفى،

احاطه باحد ساعديه ، وبالساعد الآخر بدأ يلفظ بتجريده من لباسه ، وبغمضة عين ،
نهض «القط» واقفاً .

- انت غفلان يا حلاصي . فانا رجل !

لكن «الشارب اللطيف» لم يبال باحتجاج «القط» . لم يكن يري سوى رغبته ، ورغبته في
حسد «القط» الابيض الوردى ، كان يريد أن يدمس وجهه في شعر «القط» وأن يحس
صدره : «بحصره ، ولينيته (طبعاً!)» . فانتفض عليه مصمماً على بطحه واعتصابه ،
لكن «لعده» قارمه بشدة ، ودفعه عنه مبعداً ، فانبطح «الشارب اللطيف» على وجهه .
وكان العلمان قد اجتمعوا حول الصبيين المتصارهين .

- لقد اعتبرني «موضوعاً قابلاً» للمواط . اليك عبي يا عد . !

وجر «القط» غشاء ، «الشارب اللطيف» نحو زاوية أخرى ، وأخذ إلى النوم . وبقى
العلامان مختصمين بعض الوقت ، ثم تصالها والآن حين كان «القط» يمل من صديقه
صغيرة ، كان يعطها إلى «الشارب اللطيف» .

في احدى الليالي ، كان «القط» ينتزه في شارع الموسسات ، وكان شعره يلمع
مريائين رخيص ، وعقدة الرقبة معقودة حول عنقه ، وهو يصغر كأنه أحد غلمان
مدينة المسودين . كانت النساء ينظرن اليه ويضحكن

- انظروا إلى هذا الديك الصغير . عن اي شيء جاء يبحث هنا ؟

كان القط يريد على الانسامات ، ويتابع طريقه .

كان ينتظر أن تدعوه احداهن ليلابس معها الحب . لكنه لم يكن يريد أن يجامعها
لنفاة تفرد بدفعها هذا . ليس فقط لأن ثروته لم تكن تتحازر الألف وخمسة ، وريس ،
بل أيضاً لأن «فرسان الرمال» لا يحدون دفع المال للنساء . وكان لديهم الزمخبات
الصغيرات . في س السادسة عشرة «اللواتي كانوا يجامعون على الرمال

لم يكن هناك مجال للشك : فالناس ، كل جنتمن موجهه الصبياني كس يريه وسياً في
صاه الفانس ، ويجيب أن يمارس الجماع معه . لكنهم لم يكن يدعونه لأن الوقت كان
وقت التفكير في المنزل ، وفي عداة الغد لذلك كس يكتفين بالصحك والمزاح . وكن
متأكدات من أنه يصبح يوماً من الأيام أحد اولئك القوادين الذين يملأون حياة
امرأة ما ، يأخذون مالها ، ويفر سونها . لكنهم مسحوها أيضاً كثيراً من الحب . كثيرات
مهنه حين ياكس المرأة الأولى لهذا الشقي الشاب . لكن الساعة كانت العاشرة وهي
ساعة الرجال الذين يدفعون المال . وكان «القط» يسير مس ساجية إلى الخسرى ، بلا
جدوى . وحسبده نبح «دالغا» القادمة من الشارع . غارقة في معطف من القرو ، بالزخم

من هذه الليلة الصيفية . وتجاورته دون أن تراه تقريباً . كانت امرأة في حوال الخامسة
والثلاثين ، مليئة الجسم بل بديسة ، وذات وجه شهواني جداً . وسرعان ما اشتهاها
«القط» فتمحها ، وراها تدخل إلى بينها دون أن تلتفت اليه . وبعد لحظة ، ظهرت من
النافذة . وصعد «القط» ، في الشارع ، ثم هبط عادداً ، لكنها لم تمتح أبة نظرة ثم مر
رجل عجوز ، ودعته ، فصعد إلى بينها . وواصل «القط» الانتظار ، لكنها ، حتى بعد
حروج العجوز سريعاً ، ساعياً لأن لا يراه أحد ، لم تعد إلى النافذة

وليل بعد ليل ، كان «القط» يعود إلى نفس المكان . في الشارع ، ليجرد أن يراها
فقط . والآن ، أصبح كل المال الذي يحصل عليه «القط» من السرقات والاختلاس
يغمه على شراء بدلات مستعملة ، ليجرد انماقته . كان ينصف بأناقاة المتسكمين
(الابواش) الكامنة أكثر . في طريقة المشي ، وإمالة القبة ، وربط عقدة الرقبة بصورة
مهملة . منه في الملابس يجد ذاتها . كان «القط» يشتهي «دالغا» بنفس الطريقة التي
يشتهي فيها الاكل حين يجوع . أو النوم حين ينعس . وكان قد كفف عن الاستجابة
لدعوات النساء الاخرجات . اللواتي بعد أن حصلن على مصروف الغد ، أصبحن يردن
الآن ممارسة الحب مع هذا العلام الشقي . مرة فقط خلق باحداهن وذلك فقط بقصد
الاستغلام عن حياة ، دالغا ، عن هذا السحر علم من تلك المرأة أن «دالغا» عشيقاً ،
وهو عازف ناي في احد المقاهي . وكان يأخذ منها النقود التي تكسيها . وكان أيضاً
يسكر في بيت عشيقته سكرأ شديداً . بحيث كان يعتقد حيوات جميع موسسات الملزل .

كان «القط» يعود كل ليلة ولم تمتح «دالغا» أبداً أبة نظرة . ولهذا كان حبه لها
يرداد . كان يقضي اوقاته في استظار ممض ، حتى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد
متصف الليل ، وحين كان عازف الناي يأتي . فيقبل «دالغا» من النافذة ، ثم يدخل من
اساب . النسوة الاضاعة . حينئذ كان «القط» يعود إلى المشروع ، والامكار تغلي في
رأسه . ماذا لو أن عازف الناي لم يأت في احدى الليالي ،... وماذا لو أنه مات . «
لعد كان ضعيفاً ، ولعله لن يستطيع أن يحمل قوة «القط» الذي هو في الرابعة عشرة
من لعمر . ويند العلام على المرسى التي كان يحملها تحت قميصه

وفي احدى الليالي ، لم يحصر عازف الناي . وفي تلك الليلة ، هامت «دالغا» في
السوارع على وجهها . كالجنونة . وعادت في ساعة متأخرة إلى بيتها . ولم تستقبل أي
رجل . ووقعت الآن في النافذة . رغم أن الضربات الاثني عشرة المملنة نصف الليل
كانت قد دقت صدر من طويل . وشيثاً شيثاً حلا الشارع من المارة ، ثم يسق أحد ما
عدا . «القط» في رايته . و«دالغا» التي كانت ما تزال تنظر في لنافذة كان «القط»

بعلم أن هذه الليلة هي ليلته، وأحس بالعادة وقدت، دالفا، كل أمل بحضور عتيقها عازف الناي. حينئذ راح «القط» يحظر ذهاباً وإياباً في الشارع. إلى أن لاحظته المرأة، وأومأت له فاعترب فوراً، وابتسم لها.

- ألتست الديك الصغير الذي يظل كل مساء في زاوية الشارع؟

- إن الذي يظل كل مساء في زاوية الشارع هو أنا! أما قصة الديك الصغير هذه.

ابتسمت المرأة في أمسي وقالت له «القط»:

- هل تريد أن تؤدي لي خدمة؟ سوف اعطيك شيئاً ما. ثم فكرت اثر ذلك، وقامت بإيماءة.

- لا، لا بد وأنتك تنتظر صديقك، ولكن تريد أن تضع الوقت.

- بلى، استطيع إن التي انتظرها لن تأتي بسرعة.

- إذن، أريد يا علامي الصغير، أن تذهب إلى شارع روي - باربوزا، الرقم ٣٥
اسأل عن السيد غاستون. إنه في الطقة الأولى. قل له أنني في انتظاره.

ذهب «القط» وهو يحس بالاهانة. وفكر في البدء بأن لا يذهب، وأن لا يعود

أيداً لرؤية «دالفا»، لكنه اثر ذلك قرر أن يذهب، لكي يرى عازف الناي عن قرب أكثر، هذا الذي يتجاسر على التحلي عن امرأة جميلة جداً مثل «دالفا». ووصل إلى الساية (وهي عبارة سوداء، مؤلفة من عدة طقات)، وارتقى السلم، وفي الطقة الأولى، طلب إلى علام كان راقداً في الرواق أن يدلّه على غرفة السيد غاستون فأثار الصي إلى الباب الاخير. دق «القط» الباب. ففتحه عازف الناي؛ كان في اللباس السلي. وفي السرير، لاحظ «القط» امرأة نحيفة. وكان كلاهما ناعين. وقال «القط»:

- أنا قادم من عند «دالفا».

- قل هذه العاهرة أن تدعي سلام لقد قوتت منها.

ووضع الرجل يده الممتوحة على عنقه وقالت المرأة من داخل العرفة:

- من هو هذا العلام الحصيل؟

احبابا عازف الناي - لا تدخلني أمتي...

ثم أضاف بسرعة

- انها رسالة من نللك الموسس «دالفا» المحوز. إنها تكاد تموت لكي اعود اليها.

صحكت المرأة صحك السكران الندى وقالت:

- أما انت فلم تعد تريد الآن سوى حبيبك الصغيرة «بيبي»، أليس كذلك!

تعال واعطني قلة، أيتها الملاك بدون اجنحة.

صحك عازف الناي هو أيضاً وقال:

- أرايت أيتها الرجل الصغير؟ قل هذا له «دالفا».

- رأيت. في الواقع... انها (يقصد المرأة النحيلة) جلد حاف، مثل عصا

باسة أجل يا سيدي، يا للبنات الاسود الذي تنتقلنه، اليس كذلك، أيتها الربيق.

- لا تتكلم عن خطيبي

اجاه عازف الناي بلهجة جديدة:

ثم سارع إلى القول

- أنريد أن تشرب كأساً؟ إنه كحول قصب السكر. وهو ممتاز دخل «القط»

وغضت المرأة التي على السرير جنداها. واستمر عازف الناي في الضحك

- إنه فوخ حمام صغير، فقط. لا تخافي.

وقال «القط»: ومع ذلك، فهذا الجلد اليابس لا يخربني أبداً في الحقيقة، كلا. انه

لا يهز في اطلاقاً.

واحتسى «القط» كأس الخمرة المصنوعة من نفل قصب السكر، كان هازف الناي

قد تمدد على السرير، وراح يقبل المرأة. ولم يلاحظ العشيقان أن «القط» انصرف،

حاملاً بحفظة الموسس، التي كانت موضوعة على الكرسي، فوق الملابس. وفي الشارع،

احصى «القط» ٦٨ ألف ريبس. وضع النقود في جيوبه وألقى بالحفظة على الدرج.

ومضى وهو يصغر نحو بيت «دالفا».

كانت «دالفا» تنتظره في النافذة. وثبتت «القط» وبصره حليها.

- لقد جئت...

ودخل دون أن ينتظر الجواب. ومن الرواق، سأته «دالفا».

- ماذا قال؟

- سأقول لك في الغرفة. دلتي على غرفتك.

دخلوا إلى الغرفة. كان أول شيء رآه «القط» هو صورة فوتوغرافية لعاستون وهو

يعرف على الناي، ويرتدي ثوب سموكس وجلس «القط» على السرير، وراح ينظر

إلى صورة غاستون. كانت «دالفا» تحدق النظر اليه، مذهولة، واستطاعت بصعوبة

أن تسأله مجدداً:

- ماذا قال؟

أجاب ، القط :

- احلني هنا ، وأشار إلى السرير .

وهست قائلة : هذا الديك الصغير .

- اسمي ، يا أرنبي الصغير . لقد املكك وتعلق بامرأة أخرى . اتريين ؟ لكنني احسبها لابنين معاً . ثم نعمت ريش الموس المعجوز . ودس يده في جيبه ، وأخرج النقود .

- سوف نقاسم هذه النقود .

- آه ! إنه مع امرأة أخرى ، أليس كذلك ؟ لكن سيدي سوف يسيجملها مثلولين كليها . سي فديسي هو سيد سوفتم إنه سيدي .

واتجهت نحو صورة القديس ، وأبلغته آمينتها ، وعادت :

- احتفظ بقودك . لقد كسبتها عن حق

وأردف ، القط قائلاً : اجلسي هنا . وعانقتها وألقاها على السرير . ثم راحت تئن من اللذة ، وتحت وقع الصفعات التي كان يسدها إليها ، قالت هامسة :

- هذا الديك الصغير هو ربح حقاً ...

نفض ، القط ، وسوى نطاله ، واتجه نحو الموضع الذي فيه صورة غاستون عازف الباي ، ومرقها .

- سوف التقط صورة لي ، لكي تضعيها هنا ، مكان صورة غاستون . راحت المرأة تصحك ، وقالت

- تعالي إلى هنا ، يا أرنبي السكري . يا لك من شقي ، ستكون ! سوف اعلمك أشياء كثيرة . يا دثي الصغير

وأقفلت باب العرفة . وخلع ، القط ، ملابسه .

وهكذا كان ، القط ، يذهب كل مساء عند منتصف الليل ، ولا ينام في المستودع . وكان لا يعود إلا في صباح اليوم التالي ، للذهاب مع صحبه الآخرين للقيام بمغامرات النهار .

العرب ، ذو الرجل الرخوة ، وقال مازحاً :

- الآن سوف تريبنا الخاتم ، أليس كذلك ؟

- هذا لا يعبك

كان ، القط ، يدخن سيجاراً .

- هل تريد أن تأتي لترى ما إذا كان يمكن ان تقوم بضربة ؟ يا لك من شخص خائب ا

- إنني لا أرتاد مخزن الخلود انني اعرف أين اعثر على الاشياء ذات القيمة لكس ، القط ، لم يكن يروق له أن يرددش ، وتابع ، ذو الرجل الرخوة ، جوله في

أرجاء المسودع

استند ، ذو الرجل الرخوة ، إلى الحدار وترك الوقت يمر . ورأى ، القط ، يخرج حوال الساعة الحادية عشرة والنصف وابتم لأنه غسل وجهه ، ودهن شعره بالزيتانين ، وسار بتلك المشية المترنحة التي يتسم بها الاشقياء والبحارة . وائر ذلك ، ظل

، ذو الرجل الرخوة ، وقتاً طويلاً يضر إلى الاولاد النائمين كان هناك حوال خمسين ولداً . بدون آباء ، ولا أمهات وبدون أسياد عليهم . ولم يكن لديهم حوية عدا حوية التسكع في الشوارع . وكانوا يعيشون حياة ليست سهلة دائماً . ويعترون على ما يأكلون

او على ما يلبسون ، سواء ، بجمل حقيقة ، أو ساخلاس محافظ وقمحات ، أو يتهديد الناس . وأحياناً باستجداء الصدقة . وكانت الجماعة تضم ما يزيد عن مئة ولد ، ذلك

لأن كثيرين منهم لم يكونوا ينامون في المستودع ، سل كانوا ينتشرون تحت اسياب ناطحات السحاب ، وتحت اجسور ، وفي الزوارق المقلوبة على رمال مرفأ الخشب . ولم يكن احد منهم يشكو . وأحياناً كان يموت ، ولد منهم مبرص لم يعرف علاجه احد

وحيث كان يأتي الألب جوزيه بيدرو أو الماي - دي سانتو دون آنيها ، أو أيبصاً ، المحبوب من الله الطيب . كان المريض يحصل على دواء . بيد أن تلك الحال لم تكن

مثل حالة الولد الذي يعيش في بيته . كان ، ذو الرجل الرخوة ، يفكر . فكان يرى أن مبعه هذه الخبرة صعبه جداً مقابل مؤس هذه الحياة

حين سمع حركة الفت . في وسط المسى ، كان ينهض شخص ما . وعرف ، ذو الرجل الرخوة ، فيه الزنجي الصغير باراندوا ، الذي كان يتبعه بحذرة نحو الرمال ، خارج المسودع . وصر ، ذو الرجل الرخوة ، أن الصبي الزنجي سوف يجني شيئاً ما ،

مرفقة ، ولم يكن يريد أن ينطع صحبه عليه . وكان هذا جريمة ضد قوانين العصابة . اقسم ، ذو الرجل الرخوة ، ان اراندوا ، وهو يشق طريقه بين الصبيان النائمين . كان

الزنجي الصغير قد احتاز الباب وراح يدور حول المسى من ناحية اليسار . هناك في الأعلى ، كانت السماء المملأ بالبحوم . والآن كان اراندوا يبحث حطاه ، ولاحظ ، ذو

الرجل الرخوة ، أن الصبي الزنجي كان يتبعه نحو راوية المستودع الأخرى ، هناك حيث كان الرمل أكثر نومة ايضاً . فاتحه عندئذ في الاتجاه العكس ووصل في الوقت

المناسب ليرى باراندوا يصطدم بشخص آخر . وقد عرفه على الفور . كان هو المبرو ، احد افراد العصابة . وعمره ١٢ عاماً ، وهو ولد مدني وكسول . واستطاع ، ذو الرجل

الرخوة، أن يلتقط بعض العمارات. كان احدها يقول يا غلامي الصغير، يا غلامي الصغير، تراعى، ذو الرجل الرخوة، وازداد قلقه. كان المصعب يسمعون إلى المداعبة، وشيثاً غريباً عن هذه الحياة: الاستاذ في كتبه التي كان يقرأها طول الليل، و«القط» في سرير امرأة عاهرة تنفق عليه، و«سكر الشعير» في الصلاة التي كانت تغمر شكله وهيبته، و«باراندو والميرو في الحب، على رمال الساحل. وأحس، ذو الرجل الرخوة» بأن الفلق مستول عليه، وأنه لا يستطيع أن ينام. فلو نام، فإن جمع كوابيس السجن ستعود إليه لثملاً نفسه رعباً. كان يمتنى بشدة أن يظهر شخص ما، يستطيع هو، أي «ذو الرجل الرخوة»، أن يعديه بالسخوية منه. وكان يمتنى أن يحرض شجاراً. وفكر خطة في أن يشمل عود ثقاب على ساق احد الصبيان الراقدين. لكنه حين فطر إلى باب المستودع، لم يعد يشعر إلا بعم وريفة مجنونة في الفرار. وخرج راكضاً عبر الرمال، راكضاً كيفما اتفق، هارباً من قلقه. وأبقت بيدرو بالا صحة قريبة جداً منه. ورأى ولداً يهضه ويقرب باحتراس من الرواية التي كان يرقدها فيها «سكر الشعير». وفي نصف الانقضاء الذي كان فيه، حسب بيدرو مالا أن الامر يتعلق بمجالة لواط. وظل مستهيا لكي يطرد الغلام المسلم للواط من العصابة، لأن احد قوايس هذه العصابة كان عدم القول أبدأ بوجود لواطيه سليمي في صفوف الجبهة. لكنه استنقظ تماماً، وسرعان ما تذكر أن هذا مستحيل، ذلك لأن «سكر الشعير» لم يكن من هؤلاء. إذن، لا بد أن السألة تتعلق بسرعة. وفعلاً كان الولد قد فتح حقيبة «سكر الشعير». فانتفض بيدرو بالا عليه، وكان الصراخ سريعاً. استيقظ «سكر الشعير» لكن الآخرين كانوا نائمين.

- هل تعلم يا محمد صاحب لك مجدداً؟

ظل: الآخر صامتاً، وهو يحك ذقنه المجرحة. تابع بيدرو بالا كلامه قائلاً:

- غداً سوف تصرف من هنا... ثم أعد أريدك معنا، انصرف مع صبيان ايزكيبيل، الذين يقضون الوقت يسرق بعضهم البعض الآخر...
- كنت اريد فقط أن أرى.
- ماذا كنت تريد أن ترى بيديك...؟
- أقسم أنني كنت اريد فقط رؤية هذه المداوية التي لديه.
- رتب فمك كما ينبغي أو انزلت بك عقاقماً شديداً...

وتدخل «سكر الشعير»:

- دعه يا بيدرو يمكن تماماً أنه كان يريد فقط أن يرى مداويتي. إنها مداوية

اعطاني اياها الاب جوزيه.

- نعم، هذه هي الحقيقة، كنت أريد أن ارأها فقط.

لكنه كان يرتعش من الخوف. كان يعرف أن حياة مطرو من بين فرسان الرمال تصعب صعبة فهو إما أن يدخل في عصابة ايزكيبيل التي تقضي اوقاتنا في السجن، أو أنه ينتهي به الامر إلى دخول الاصلاحية.

تولى «سكر الشعير» الدفاع عنه مجدداً، وعاد بيدرو بالا إلى قسرب الاستناذ. وحينئذ قال الصبي، وصوته ما زال مرتجفاً:

- سأقول لك كل شيء لتعرف، إنها فتاة صغيرة رأيتها اليوم. كانت في مدينة «باي» وكنت قد دخلت إلى منزلهم لأسرق صدرة، حين وصلت وسألني عما أريد، حين رحا ندرش. وقلت لها اني في الغد سأحضر لها هدية. لأنها كانت لطيفة، لطيفة جداً معي. هل فهمت؟

والآن اخذ يصبح، بشدة، حتى ليظن أنه مسعور

تناول «سكر الشعير» المداوية التي اعطاها له الأب حزميه، وراح يتأملها باعجاب ووحدة، مدحا نحو الغلام الصغير.

- حذ اعطها لها. ولكن لا نقل شيئاً لبيدرو بالا.

دخل الكوع اليابس إلى المستودع في حين كان الفجر يشرق. وبور ابيض يجتاح اعراق السنه. وكان شعر خلاصتي سيرتاو^(٥) مبهوشاً نحو الأعلى. وكان يجتدي بجدهاء قماشياً للرياضة، مثله يوم نزل من «الكتانغا»^(٦). واسكس وجهه القاسم في داخل السمس وخطا فوق حسم الزنجي حواو غراندي، وبعث إلى أبعد، وأمر رجله فوقه. كان يحمل صحيفة مشدودة إلى صدره. وشمل القاعة كلها بنظرة، كأنه كان يبحث عن شخص ما وما أن تبين الموضوع الذي يوجد فيه، الاستاذ، حتى أخذ الصحيفة بين يديه الخشبي الكبيرتين. ودون أن يولي اهتماماً للوقت غير الملائم، اتجه نحوه صائحاً:

- يا استاذ، يا استاذ...!

- ماذا هناك؟

كان: الاستاذ شبه مائم.

- أريد شيئاً ما...

(٥) ميرتو جاحل البرابيل.

(٦) «الكتانغا»: منطقة صحراوية في «سيرتاو» (داخل البرازيل) مشقة بالصار.

جلس « الاستاذ » . وكان وجه « الكوع اليابس » القام غير مرئي تقريباً في الظلام .

- أهدأ أنت أيها « الكوع اليابس » ؟ ماذا تريد ؟

- أريد أن نقرأ لي اخبار لاميباو^(٧) الواردة في « الكوتنديان » « المريدة

اليومية) . ويوجد صورة له أيضاً .

- دع الصفحة لكي أقرأها غداً .

- أقرأها اليوم ، وأنا ، سوف اعلمك غداً كيف تحاكي زقزقة الكناري تماماً

بحث « الاستاذ » عن شعبة ، واشعلها ، وراح يقرأ مقال الصحيفة . لقد دخل

لاميباو إلى إحدى قرى ولاية ناهيا ، وقتل ثمانية جنود ، واغتصب عدة فتيات ، ونهب

خزائن المحافظة وأضأ وجه « الكوع اليابس » القاتم وافتتح بابتناسمة فمه المطبق .

كان سعيداً حين ترك « الاستاذ » الذي اطفأ الشئمة متوجهاً نحو زاويته . وأخذ معه

التصحبة لكي يفتتح صورة عصاة لاميباو . وفي روجه كان يتصاعد نهار ربيعي .

* * *

باب البحر لابورتا دو مار

انتظروا رحيل الشرطي . وتوقف هذا منفضحاً السباء ، باحساً ينظره في الشارع

المقفر ، واختفى الترام عند المنعطف كان هو ، في هذه الليلة ، آخر ترام على خط

بروتاس اشعل الشرطي سيحارة . وبسبب الريح التي كانت تهب ، اشعل هذا ثلاثة

عدان . ثم رفع ياقعة معطفه ليقب جسمه من البرد الرطب الذي كانت الريح تحمله من

المزارع التي تتأرجح فيها أشجار المانغا والزعرور الأميركي . انتظر العلمان الثلاثة رحيل

لشرطي لكي يتفلقوا إلى الجانب الآخر من الشارع والدخول إلى الدرب المسدود غير

المسلط . ولم يستطع « حبيب الله الطيب » الحضور . لقد قصى طوال فترة بعد الظهر في

« بورتا دي مار » ينتظر الرجل الذي لم يحضر ولو حضر هذا الرجل ، لكان ذلك

سهل ، ذلك لأنه مع « حبيب الله الطيب » . - الذي كان يدين له بأشياء كثيرة - لم يكن

بمجاة للقاش . لكن الرجل لم يأت ؟ كان النبا كاذباً بالنسبة ، وعلى « حبيب الله

الطيب » أن يعاود السفر هذه الليلة بالذات . كان ذاهباً إلى اينتاباريكا ، أثناء فترة بعد

الظهر ، نحو ارض صغيرة كانت موجودة في عمق « بورتا دي مار » « باب البحر » .

كان « القط » يبي . نفسه ليصبح بعد حين مصارعاً قادراً على أن يجابه « حبيب الله

الطيب » بالذات .

إن بيدرو بالا ، هو أيضاً كان يكشف عن استعدادات كثيرة . وأقل الثلاثة رشاقة

كان حواو عمراودي ، لكنه كان ممتازاً في معركة يستطيع أن يستخدم فيها قوته البدنية

الحارقة وحتى في حانته تلك ، كان على مقدرة كافية للتخلص من خصم أقوى بأساً

منه رحين نعويا ، دخلوا إلى الخانة . وطلخوا أربعة كؤوس من النبيذ . وأخرج « القط »

ورق اللعب من جيبه ، وهو ورق لعب مدهش ، دق ، ذو أوراق حشة . كان « حبيب

الله الطيب » يؤكد بأن الرجل سيحصر . إن الرفيق الذي بلغه النبأ - أي « حبيب الله

الطيب » - كان شخصاً موثقاً به . كانت هذه الصفقة ستعود بمكاسب كبيرة ،

و « حبيب الله الطيب » كان يعضل أن يساعده « فرسان الرمال » أصحابه ، الذين هم

أفضل من زعران الرقفاً . كان يعرف أن « فرسان الرمال » هم أفضل من رجال كثيرين

(٧) لاميباو : قاطع طرق مرابط شهير (ملاحظة من المترجم) .

وأنتهم يعضون السر جيداً . كان « باب البحر » مقفراً تقريباً في هذه الساعة . كان هناك فقط عماران يجتسيان التيرة . في داخل الحانة . وهما يدردشان وضع « القط » ورفى اللعب على الطاولة وقال

- من الدين يشاركني في جولة؟

تناول « حبيب الله الطيب » ورق اللعب وقال: إنه أكثر من مشغوش بعلامم خاصة ، يا صديقي « القط » إنها لعبة مشوشة تماماً ، ومصمحة تماماً أيضاً .

- إذا كان لديك ورق غيره ، فهدأ سيان بالنسبة لي .

- كلا . فقلتم هذا الورق .

بدأوا باللعب . كشف « القط » عن ورقتين على الطاولة ، وأخذ الآخرون يراهنون على واحدة منها ، وكان البنك (مال المقامرة) مع الثانية . بادي . بدء ، كسب بيدرو بالا . و - حبيب الله الطيب . . . ولم يشترك في اللعب جواو غراندي (كان يعرف جيداً تلاعب « القط » بالورق) ؛ كان يكنهي بالترفح ، فساحكاً بكل أسنانه البيضاء حين كان « حسب الله الطيب » يقول إن الحظ يحالفه هذا النهار لأنه عيد كسانغو ، شقيقه . كان يعرف من جهته أن الحظ لا ينسجم إلا في البداية ، وأنه حين سيبدأ « القط » بالكسب ، فلن يتوقف بعد ذلك ، أبداً . وفي فترة معينة ، بدأ « القط » بكسب . وعند الانتصار الأول . قال بصوت حزين بعض الشيء :

- لقد حان الحين تماماً إن معي أوراقاً ممتازة وحق الشيطان !

وسخ جواو غراندي ابتسامته أكثر أيضاً . . . وكسب « القط » كذلك . نهض بيدرو بالا ووضع في جيبه النقود التي كسبها . ونظر « القط » إليه في قلق :

- ألى تصعب شيئاً أيضاً؟

- الآن لا ، أما ذاهب لايول . . .

وانحى نحو عمق الحانة . واستمر « حبيب الله الطيب » يجسر . كان جواو غراندي يضحك ، وكان لاعب الكابوريا يتنهار . وعاد بيدرو بالا ، ولكنه لم يعد إلى اللعب . كان يضحك مع جواو غراندي . وتخلل « حبيب الله الطيب » عن كل ما كسب ، وقال جواو غراندي من بين أسنانه :

- سوف يمس الرأسال .

- ولا حظ « القط » قائلاً : ما زلت أخسر . ولا حظ عودة بيدرو . فقال له :

- أما عدت تقامر بشي ؟ وأفلا تراهن على « البنيت السباتي » ؟

- لقد قرفت من المقامرة . . .

وعمر بيدرو بالا « القط » كأنه يظلم منه أن يكنفي ل - « حبيب الله الطيب » .
تخلل « حبيب الله الطيب » عن حصة آلاف « ريبس » كصندوق . ولم يكن قد كسب سوى مرتين أثناء الحولات الاخيرة . وبدأ يجدر . ونشر « القط » الاوراق على الطاولة ، وقدم ملكاً وسبعة وسائل

- من يلعب ؟

لم يجب أحد . ولا حتى « حبيب الله الطيب » الذي كان يراقب الورق بعين حذرة . وسأل « القط »

- هل تعتقد بأنه يوجد عش ؟ تستطيع أن تنظر . انني لعب بصورة تريبة

اطلقت جواو غراندي في احدى صحكاته الفاضحة . وشاركه في الضحك بيدرو بالا و « حبيب الله الطيب » . والقي « القط » نظرة مسعورة نحو جواو غراندي :

- هذا الرجيبي لبيد العقل مثل نوح . أفلا ترى اذن . . .

لكنه لم يكتمل عبارته . لأن البحارين اللذين كانا يراقبان اللعب منذ حين اقتربا . وقال احدهما ، وهو الاصغر ، الذي كان تملاً ل - « حبيب الله الطيب » -

- هل تستطيع الدخول في عهده اللعبة الصعيرة ؟

أشار « حبيب الله الطيب » إلى « القط » قائلاً - الصندوق هو مع هذا الفتى .

نظر البحاران إلى حذر وريبة . لكن اصغرها لكز الآخر بكوعه هامساً تصعب كلمات في اذنه . وروح « القط » في دخيلته ، لأنه كان يعلم أن الآخر يقول انه من تسهيل الاسيلاء على خود هذا الولد . وجلس البحاران معاً إلى الطاولة ، ودهش « حبيب الله الطيب » لرؤية بيدرو بالا يجلس هو أيضاً إلى الطاولة . ومن جهة أخرى ، فإن جواو غراسي ليس فقط لم يدهش ، بل انه جلس إلى الطاولة هو أيضاً . كان يعلم أنه يجب مواجهه البحارين . وأن من الصروري لأحل هذا أن يجسر فتيان العصابة هم أصناً وبدأ البحاران يرحمان . في البدء ، كما حدث ذلك ل - « حبيب الله الطيب » ، لكن رياح الحظ تحولت بسرعة وسرعة كان « القط » هو وحده الرابع وكان بيدرو بالا يظلم صحبات تعجب :

- هذا « القط » حين يحالفه الحظ ، تصعب مواجهته . . .

ورد جواو غراسي : وكذلك حين يأخذ في الخسارة طوال الليل . . .

هذا الرد أوحى بأكثر الثقة إلى البحارين حول نزاهة اللعب ، وامكانيات الحظ في التحول فتابعوا اللعب والخسارة وكان اصغرها يقول فقط : لا بد وأن يدور الحظ ! كان الآخر وهو ذو شارب صغير ، يلعب في صمت ، وكان في كسل مرة يزيد

راهنه ويبدو بالآ، هو أيضاً كان يزيد قيمة رهاناته وفي لحظة معينة، التفت الرجل ذو الشارب الصغير نحو القط .

- هل يسير الصدوق بخمسة آلاف ؟

حك «القط» شعره المدهون بيرمانتين رخيص، مطهراً عدم تصمم كان رفاقه يعلمون بأنه مجرد شيء شكلي.

- اتفقا أنا العب. لا لشيء إلا لكي اتبع لك تعويض خسارتك

راهن البحار ذو الشارب الصغير خمسة آلاف «رييس». وقدم الصغير لثلاثة آلاف. وراهن كل منها على «أس» مقابل حاد الصدوق. كذلك راهن على الآس، بيدرو بالآ وجواو غراندي. وأخذ القطه يقبل الأوراق. كانت الورقة الأولى تسعة. كان البحار الصغير يدين باصابعه على الطاولة، والآخر يشد شارب الصغير. ثم جاءت ورقة «الثان» وقال البحار الأصغر.

- الآن. آس. ثان، بعد واحد..

وراح يدين الطاولة بأصابعه.

ولكن جاءت سبعة، ثم عشرة. وحينئذ جاء خادم ونطف «القطه» الطاولة، في حين كان بيدرو بالآ يظهر هيئة سأم عميق، وقال:

- غداً، حين سوف يستولي عليك التحس، وسوء الحظ، سترى إذا كنت لسن أعملك..

واعترف البحار الأصغر بأنه خسر كل شيء. وجس «البحار الآخر ذو الشارب الصغير» جيبه.

- لم بعد لدي سوى بصعة ربيسات لدفع لمن البيرة. العلام لاعب ماهر...

بص الحارار، وودعا أفراد المصابة، ودفعاً لمن البيرة، التي شربها على الطاولة الأخرى. ودعاها «القطه» للعودة في يوم آخر. فأجاب الأصغر بأن سفينتها ستحرق هذه الليلة بالذات نحو كارافيلام. فسيعودان عند الأياب فقط. وانصرفا يسلك أحدهما خسر الآخر، وهما يعلقان على التحس الذي أصابها.

وقدر «القطه» مبلغ الكسب. وبدون حساب النقود التي خسرها بيدرو بالآ وجواو غراندي، بقي هناك ربح يبلغ 38 ألف «رييس». وأعاد القطه إلى بيدرو بالآ نقوده، ثم إلى جواو غراندي، وفكر بزهة، ودمس يده في جيبه، وأخرج الخمسة آلاف «رييس» التي كان «حبيب الله الطيب» قد خسرها قبلاً.

- خذ يا أبه، عاك غش، أنا لا أريد أخذ نقودك...

قبل، حبيب الله الطيب، الورقة المالية بسرور، وربت على ظهر «القطه»:
- سوف تذهب إلى بعيد، يا صديقي. ونستطيع أن نكسب ثروة من ألعاب المش

هده

لكن الشمس كانت قد غربت، والرجل المنظر لم يأتي. وطلبوا كئيباً أخرى من البسذ. ومع الغروب، اردادات الريح القادمة من البحر شدة. وبدأ «حبيب الله الطيب» يفقد صبره. وكان يدخل سيجارة وراء سيجارة. وكان بيدرو بالآ يردد «الآب» وقسم «القطه» الثانية وثلاثين ألف «رييس» على الثلاثة، وسأل «جواو غراندي»:

- كيف سينتبر «ذو الرجل الوخرة» امره في مرقعة القبعات ؟

لم يجب أحد. كانوا ينتظرون الرجل والآن أصبح لديهم انطباع بأنه لن يأتي. إن البنا السري لم يكن يساوي شيئاً في الحقيقة. ولم يكونوا يسمعون الاعنية القادمة من البحر. كان «بات البحر» (نورتا دي مار) مقفراً، والآب ويليب نعان على طاولته الشك. القاعة سوف تحترق. بعد قليل، وحينئذ لن يكون ممكناً أي اتفاق مع الرجل وسط هذا الجو الصحاب. وهو لن يقبل أية مجادلة هنا، في هذه القاعة التي تخص الماربانن، فيمكن أن يعرف اله الناس، وهو لم يكن يريد ذلك، كما أن «فرسان الرمال» هم أيضاً لا يريدون. وفي الواقع، كان «القطه» لا يعرف حقيقة المسألة، كما لم يكن يعرفها «بيدرو بالآ» و«جواو غراندي» كانوا يعرفان فقط ما يعرفه «حبيب الله الطيب» الذي عرضت عليه الصفقة التي قبلها من أجل بيدرو بالآ و«فرسان الرمال». وعلى كل حال، فهو نفسه لم يكن يملك سوى معلومات غامضة. وكان ينبغي أن يظلمهم الرجل على معلومات، وقد حدد لهم موعداً في فترة بعد الظهر، في «بات البحر». لكنه حتى الساعة السادسة لم يظهر له اثر. وقد جاء بدلاً عنه الرجل الذي تحدث إلى «حبيب الله الطيب» وقد وصل بالضبط حين كانت المعصاة تغادر. أوضح هذا أن الرجل لم يستطع «حبيب الله الطيب» في المساء، في الشارع حيث يسكن. وسوف يأتي حوالي الساعة الواحدة فجراً. وأعلن «حبيب الله الطيب» أنه لا يستطيع الذهاب إلى هناك، لكنه يسلم المسألة لـ «فرسان الرمال» ويضعها في أيديهم وتغصن الوسيط الأولاد بمجد، وسأله «حبيب الله الطيب»:

- ألم يسبق لك أن سمعت الحديث عن «فرسان الرمال» ؟

- بلى قبلاً، ولكن...

- على كل حال، انهم هم الذين سيتولون المسألة. إذن.

هذا الوسيط أنه يوافق. واتفقوا على اللقاء في الساعة الواحدة فجراً، وافترقوا. وعاد «حبيب الله الطبيب» إلى سنيته، و«فرسان الرمال» ذهبوا إلى المستودع، واختفى الوسيط في أروصة الميناء. ولم يكن ذو الرجل الرخوة قد عاد بعد. ولم يكن هناك أحد في المستودع. لا يد وأهم جينعاً منتشرين في شوارع المدينة، بحثاً عن غداً. وخرج الثلاثة في ذلك الحين، وذهبوا لتناول طعامهم في رستوران رخيص قائم في السوق، وعند مزجج المستودع، أراد «القط» المبتهج جداً بتجنيبه للعب، أن يفر كرش بيدرو بالا، لكن هذا تلافاه وأوقع «القط» على الأرض.

- إنني مدرب، أيها الاحق الكبير.

ودخلوا إلى الرستوران محدثين ضجة، واقترب منهم في حذر عجوز كان هو النادل. كان يعرف أن «فرسان الرمال» لا يجيئون الدفع، وأن هذا الشاب المشطوب الوجه، كان أخطر الجميع. ومع أنه كان هناك أشخاص كثيرون في الرستوران، لكن العجوز قال لهم.

- انتهى كل شيء. لم يعد لدينا طعام...
- عبر هذه الاططوانة يا عم، نحن نريد أن نأكل.
وضرب حوار عرادي على الطاولة بقبضته وقال:
- وإلاً فسقلب هذه الموائد كلها رأساً على عقب... حدق النادل العجوز فيهم، مرتدداً. وحينئذ رن «القط» بالثوقد على الطاولة:
- اليوم، نعطي قروداً

كانت هذه حجة حاسمة. وبدأ النادل يحضر الاطعمة: طبق من الساراباتيل^(٨) ثم طبق من «العاصيراد»^(٩) و«القط» هو الذي دفع ثمن الطعام. وإثر ذلك، اقترح بيدرو بالا الدعات نحو بروتاس، التي كانت تفصلها عنهم طريق طويلة، نظراً لأنهم سيرون نحوها سراً على الاقدام
وقال بيدرو بالا لا حاجة لركوب للترام. والافضل أن لا يعرف أحد اننا ذهنا إلى هناك.

حينئذ قال «القط» إنه سيأتي فيا بعد. وانه سيلتقيهم هناك. كان لديه ما يفعله قبل ذلك. كان يريد أن يبلغ «دالغا» بأنه لن يحصر بها هذه الليلة.

(٨) ساراباتيل. أكلة مقلات برازيلية مصغرة من كروش الخنزير ولحماه.
(٩) العاصيرادا. وحة وطنية برازيلية مصنوعة من اللوبيا السوداء، بنعم الخنزير واللحم.

والآن وصولاً إلى هناك، إلى محطة «بينتاغيريس» منتظرين وحيل الشرطي. كانوا ينتظرون في ظل بوابة كبيرة، ويلزمون الصمت. كانوا يسمعون صوت طيران الخفايش التي كانت تنهجم على الاشجار حبات الزعرور الأميركي الناضجة. وفي النهاية غادر الشرطي. وبقوا في وضع المترقب حتى اختفى شبحه عند المنعطف. وحينئذ احتاروا هذا المنعطف، ودخلوا إلى جادة المزارع، حيث اختبأوا تحت سقيفة.

لم يتأخر الرجل البتة. وقد قفز من سيارة تكسي عند زاوية الشارع، ودفع أجرة الركوب، وحاء، صاعداً الجادة. كان يسمع فقط صوت خطاه، وحفيف الاوراق التي يهبها الهواء على الأشجار. وحين اقترب منهم كفاية، خرج بيدرو بالا من تحت السقيفة. وسارع الآخرون للحاق به، وأحاطوه، مثل حراس أفوسيا، يعرفون مهمتهم، واقترب الرجل من الجدار، المحاذي لخط سيره. وانجبه بيدرو نحوه. وحين وصل إلى مستواه، توقف.

- هل يمكن أن تشعل في هذه السجارة أيها السيد؟
كان في يد بيدرو بالا سجارة منقطة. لم يجب الرجل بشيء. بل أخرج علبة النقباب، وناولها للفتى. وأشعل بيدرو سيجارته، وأثناء اشعالها، حدق في الرجل. ثم سأله وهو يعيد اليه العلبة:

- أنت أنت المسمى جويل؟
- وسأل الرجل، لماذا؟
إن «حبيب الله الطبيب» هو الذي أرسلنا. واقترب جواو غراندي و«القط»، وحدق الرجل فيهم مندحلاً:

- إنهم مجرد أطفال. والعمل الذي أنا في سبيله، ليس عملاً لأطفال.
- قل لنا ما هو؟ نحن نعرف أن تقوم بعمل مناسب، هكذا ر بيدرو بالا، في حين كان زميلاه يقترحا:

- ولكن ماذا لو كانت المسألة صعبة بحيث أنه حتى الرجال..
ووضع الرجل يده على فمه مثل شخص قال كل شيء. لديه، بل وأكثر.
- نحن نعرف كيف نتخطف بالسر، كما لو أنه كان في خزينة فولادية. و«فرسان الرمال» يفعلون دائماً عملاً منقلاً.

- «فرسان الرمال»؟ هذه العصابة التي تتحدث عنها الصحف؟ أولاد مشردون؟
أهم انتم؟
- أجل، نحن ونحن من الذين يقودون أولئك الأولاد.

بدا الرجل كأنه يفكر. وأخيراً قرر موعفاً، وقال: كنت أفضل أن اكلف رجلاً بهذا العمل. ولكن نظراً لأن الأمر يجب أن يجري في هذه الليلة بالذات، فالوسيلة...

- سوف ترى كيف اننا نحسن العمل. لا تقلق.

- تعالوا معي. ولكن دعوني اتقدمكم. واتبعوني ولكن على بعد خطوات مني.

اطاع الاولاد. وتوقف الرجل المجهول عند حاجز، فتحه، وهدأ سرهة. ومن الداخل، جاء كلب راح يلحس يديه وأدخل الرجل ثلاثهم معاً واجتازوا معه طريقاً تحف بها الاشجار ثم فتح باب المنزل ودخلوا إلى غرفة صغيرة؛ ووضع الرجل

معدته وتبعته على كرسي، ثم جلس. وطل العلمان الثلاثة واقفين. وأشار الرجل اليهم بالجلوس، وبأديه يده واحوا ينظرون في حذر إلى الفتويات الواسعة المريحة. ذلك

على الاخص، كانت حالة بيدرو رجواو غراندي، ذلك لأن القط كان قد جلس على أحد هذه الفتويات جلسة مريحة. وإن كان قد حافظ على عيوسه. وبعد اشارة

جديدة من الرجل، جلس بيدرو وغراندي، رغم أن جواو غراندي اتخذ جلسة له على حافة المقعد، وكأنه كان يمشي تويسخه. كانت هيئة الرجل مرحة، مداعبة وفضأة

هص، ناعراً إلى بيدرو، الذي احس أي الرجل، انه الزعيم (أي بيدرو).

- إن ما سوف تفعلونه هو صعب وسهل في وقت معاً. والآن، ما يلزم، هو أنه لا يجب أن يعرف أحد بما ستفعلون. لا أحد بالمرّة. أجب بيدرو بالا، كن مطمئناً

سبحن تعرف ما نعمل. أخرج الرجل ساعته من جيبه، وقال: الساعة الآن الواحدة والرربع. إنه لا يعود إلا في الساعة الثانية والنصف...

كان ما يزال ينظر إلى «فرسان الرمال» بتردد.

وباعته بيدرو قائلاً:

- إذن، لم يعد هناك وقت طويل. فإذا أردت أن نعمل، فيجب أن نبدأ الآن، فوراً...

حينئذ صمم الرجل:

- بعد شارعين من هذا الشارع، نوسد المزرعة الأخيرة على اليمين. يجب أن نجتمعوا للكلب، الذي لا بد وأنه مطلق السراح الآن. وهو كلب شرير. وقاطعه جواو

غراندي.

- هل لديك هنا قطعة لحم؟

- لماذا؟

- لأجل الكلب.

- سوف أرى.

كان ينظر إلى الاولاد. كان يتساءل ما اذا كان يستطيع أن يعتمد عليهم.

- سوف تدخلون من العمق. وقرب المطبخ، في الجهة الواقعة خارج المنزل، يوجد غرفة فوق المرآب. إنها غرفة الخادم، الذي يجب أن يكون الآن في المنزل، منتظراً

عودة سيده. وسوف تدخلون إلى غرفة الخادم. وعليكم أن تبحثوا عن رزمة كهذه، كهذه تماماً.

واتجه نحو جيب معدته، وأخرج منه رزمة صغيرة مربوطة بشريط وردي.

- إنها مشابهة تماماً لهذه. ولا أدري إن كانت هذه الرزمة ما زالت في المنزل. ويمكن أن تكون في جيب الخادم. فإذا كان الامر كذلك، لن يعود بالامكان أن

تفتعلوا شيئاً.

وبداً أبساً مبالغاً في أمه.

- لو أمكنني أن اذهب بعد ظهر هذا اليوم... اذن، بالتأكيد، كنت سأجد الرزمة في الغرفة. أما الآن فمن يدري؟

وغطى وجهه بيديه.

وقال بيدرو: حتى ولو كانت الرزمة مع الخادم، فمن نستطيع اخذها.

- كلا. ومن المهم جداً أن لا يعرف احد أن الرزمة قد سرقت. إن ما سوف تفعلونه، هو ابدال رزمة بأخرى، اذا كانت الرزمة المطلوبة في الغرفة.

- وإذا كانت مع الخادم؟

- حينئذ...

وعاد وجه الرجل مجدداً للاكتئاب. وسمع جواو غراندي بامه يشبه الزبا، ولكن ربما كان هذا وهماً أم بجواو غراندي، الذي كان احبباً يسمع ويرى اشياء لا يسمع بها

ولا يراها أحد. كان التخيبي كاذباً جداً.

- اذن، يجب تغيير الرزمة بنفس الطريقة. ويمكنك أن تطيش. إنك لا تعرف «فرسان الرمال»

الرزم من رأسه، اسلم الرجل من مرحلة بيدرو بالا:

- اذن، ما استطاعتكم الذهاب. وبعد ذلك، لكن هذا يجب أن يكون قبل الساعة الثانية، عودوا إلى هنا. ولكن فقط حين تخلو الطريق تماماً وسأنتظركم وسوف نسوي حسند حساباتنا. لكن هناك شيء من واحي أن انبهكم اليه ما خلاص اذا اكتشف

امرئ وعقلهم، فلا تعرضوني للخطر ولن افعل شيئاً من أجلكم، لأن اسمي لا يمكن أن يظهر في كل هذه المسألة. وحاولوا حينئذ اخفاء هذه الرزمة، ولا تصلوا بي أية ححة كانت. المسألة أن تكسب أو تخسر ..

رد بيدرو بالا: في هذه الحالة يجب تحديد الأجر مسبقاً. فكم تدفع؟

- إنني اعطي مئة ألف ورييس، ثلاثون لكل واحد منكم، وعشرة زيادة لك، وأشار إلى بيدرو.

تحرك «القط» على كرسيه فأشار له بيدرو بأن يصمت. وقال للرجل: سوف تدفع حسين ألفاً لكل واحد منا، وكما يبدو لي، فإنك تظل راجحاً في هذه الصفقة. وهذا بشكل مئة وخمسين ألف ورييس». وإلاً، فلا رزمة هناك.

لم يتردد الرجل البتة. ونظر إلى ساعة يده، حيث يركض العقربان.

- اتفقتا.

حينئذ قاطعه «القط».

- ليس ذلك لأننا لا نثق فيك. لكن المسألة يمكن أن نغفل، وقد قلت أنت نفسك أنك لن تهتم بما يمكن أن يحدث لنا.

- وماذا إذن؟

- من العدل والحالة هذه أن تعطينا سلقة كبيرة الآن.

وأيد جوار غراندي «القط» بإيمانه من رأسه. وردد بيدرو ببالا آخر كلمات الأحرار

- هذا عدل، نعم. إذا كما لا نستطيع الاتصال بك بعد ذلك.

وقال الرجل بدوره: نعم هذا عدل.

وأخرج من جيبه محفظة، وسحب منها ورقة مالية بمئة ألف ورييس، وناولها لبيدرو.

- والان اذهبوا بسرعة. لقد تأخر الوقت.

وخرجوا وقال بيدرو بالا:

- لا تهتم. بعد ساعة سعود ومعنا الرزمة.

وأمام المنزل (كان الشارع خالياً تماماً) وفي إحدى النواخذ كان هناك ضوضاء، وشاهدوا شبح امرأة يذهب ويحيي) وضرب الزعم جبينه.

- لقد نسيت قطعة اللحم لأجل الكلب.

نظر بيدرو بالا إلى النافذة المضاءة.

- الأمر سيان! كل هذا تفوح منه رائحة الخيانة - الزوجية مثل الانف. إن الشخص هناك كان «برتب» للصغيرة هاء، والان توجد مع الخادم رزمة الرسائل التي كانا يتبادلانها، وهو يريد اعطاهما. وهذه الرزمة تفوح منها العطر، وهذا ما ينبغي أن يحس به الأخير أيضاً.

وأشار إلى الاثنى بانفتاره في الحاسب الآخر من الشارع، واقترب من بوابة المنزل. وما أن استند إليها، حتى اقترب منه كلب كبير وهو ينبج. وربط بيدرو بالا حبلأ رقيباً بمزلاج البوابة، في حين كان الكلب يروح ويحيي، ناهجاً بصوت خفيض، ثم نادى بيدرو رفيقه.

- أنت (وأشار إلى «القط» ابق هنا، في الشارع لاعطاء الانذار اذا داهمنا احد. أما انت، غراندي فادخل معي.

وتسلقا إلى ارتفاع الحاحز الصغير للجدار. وشد بيدرو بالا على المزلاج بالحبل الرفيع. فانفتحت البوابة. وكان «القط» قد ذهب إلى زاوية الشارع. وحين رأى الكلب الباب مفتوحاً، اندفع نحو الشارع، وتأخر هناك وهو يتفحص عملة قاذورات. وقهر بيدرو بالا وجوار غراندي إلى أسفل الجدار، وأقفلا البوابة لكي لا يستطيع الكلب العودة إلى المنزل، وتقدما بين الأشجار وفي نافذة المنزل المضاءة، استمر شبح المرأة يروح ويحيي. وقال جوار غراندي بصوت خفيض جداً.

- إنني أتأم من أجلها

- من الذي طلب منها أن تنام مع الآخرين؟ ..

وقف الزنجي قرب المنزل لينقل الانذار إلى «القط»، في حالة مدهامة أحد لهم، وكان يستخدم في هذه المساسات أنواعاً خاصة من الصغير. ودار بيدرو بالا حول المنزل، ووصل إلى المطبخ. كان بابه مفتوحاً، كما كان مفتوحاً أيضاً باب الغرفة القالمة فوق المرآة. بيد أن بيدرو قبل أن يرقى السلم المؤدي إلى الغرفة،لقى نظرة عبر باب المطبخ. ورأى بيدرو فيه رجلاً فقال «لا بد أنه الخادم المذكور»، هكذا فكر بيدرو، وبسرعة، اتبع بيدرو نحو المرآة. وصعد على الدرجات أربعاً فأربعاً، ودخل إلى غرفة الرجل. لم يكن هناك نور، وأقفل بيدرو الباب، وأشعل عود ثقاب. لم يكن هناك سوى سيرير، وحقبة. وانطفأ عود الثقاب، لكن بيدرو كان قد وصل إلى السيرير، الذي يبحث فيه بكامله. وإثر ذلك، نظر تحت الفراش. وهنا أيضاً لم يجد شيئاً. ففتش حينئذ من السيرير واقترب من الحقيبة دون أن يحدث ضججة، ورفع غطاءها، واشتمل عود ثقاب امسكه بأسنانه. وقام بالبحث في الثياب باحتراس: ولم يجد

شيئاً! ويصق عود الثقاب، ثم نذكر أن الرجل ربما كان لا يدخن، فوضع علة الثقاب في حبه، واتجه نحو المشعب المنيب في الحدار. ولم يجد شيئاً في الملابس المعلقة على المشعب وأشعل بيدرو نالا عود ثقاب أخيراً، وقام بتفتيش كل العرفة.

- من المؤكد أن الرزمة هي مع الرجل. والآن سوف نتاجر.

فتح باب العرفة ونزل على درجات السلم، ووصل إلى باب المطبخ، كان الرجل ما زال جالساً، وحينئذ، لاحظ بيدرو بالا أن الرجل كان جالساً على الرزمة بالذات. كان طرف منها يبرز تحت ساق الرجل. وحسب بيدرو أن كل شيء قد ضاع. فكيف يستطيع سحب الرزمة من تحت هذه الساق؟ وابتعد عن باب المطبخ واتجه إلى الموضع الذي يقف فيه جواو غراندي. وفكر أن يتهاجم الرجل بالاشتراك مع جواو غراندي... ولكن حينئذ ستكون هناك صيحات،... وسيطلع الجميع على السرقة. والذي استخدم لهذا العمل لم يكن يريد أي شيء مما ربما يحصل هنا. وفتحة خطرت لبيدرو فكرة. واقترب من الموقع الذي ترك فيه غراندي، وهو يصفر بصوت منخفض جداً. وسرعان ما ظهر جواو غراندي. وقال له بيدرو بالا بصوت منخفض جداً هو أيضاً: اسمع يا غراندي، إن الخادم جالس على طرف الرزمة. عليك أن تذهب إلى الباب المؤدي إلى الشارع، وتضغط على الحرس ثم تفر على الفور. ذلك لكي يقف الخادم، وأسرق أنا الرزمة. ولكن سارع إلى الاختباء بسرعة، بحيث لا يراك الرجل، ولكي يظن أنه رأى حلقاً لا حقيقة. اتج في الوقت للوصول إلى المطبخ. وعاد بسرعة إلى باب المطبخ، وبعد دقيقة، رن الجرس. فنهض الخادم بسرعة، وورر سترته واتجه نحو مدخل المرل عن طريق الرواق، حيث انصاه الكهرياء. ونفذ بيدرو نالا إلى المطبخ. وقام بتبديل الرزمة، واتجه نحو الزرعة. وقفز عن الجدار، وصفر لك «القط» وجواو غراندي. وسارع «القط» في الحضور. لكن جواو غراندي لم يظهر. وذهب من جهة إلى أخرى، لكن «الزنجي» لم يظهر أيضاً. بدأ بيدرو يتفقد الصبر، خائفاً من أن يكون الخادم قد باغت جواو غراندي. ومن أن يكون الآن يتقاتل معه. لكنه أي بيدرو بالا، حين مر من هذا الجانب، لم يلاحظ أية ضجة. وقال: إذا تأخر أيضاً فسوف تدخل.

وصفرا بعدداً، ولم يمر أي جواب. وحزم بيدرو بالا امره.

- لنعد إلى الداخل.

ولكن سرعان ما بلغت صفره جواو غراندي الذي لم يتأخر عن اللحاق بها. وسأله بيدرو:

- أين اختبأت؟

كان، القط، قد أمسك الكلب من مقوده. وأخرجه من الجانب الآخر للبوابة. وسحب حبل المزلاج الرفيع، واحتفيا في الجانب الآخر من الشارع. في هذا الموضع، أوضح جواو غراندي الموقف.

- حين وضعت اصمعي على الحرس، أصيبت المرأة التي فوق مما يشبه الحسون الكلي ففتحت هي النافذة، وقد حيل إلي أنها ستلقي بنفسها منها. كانت تعلم أن هذا ينير الخوف بل كانت تبكي وتتحبب. حينئذ أحسست بالألم. وتسلقت الانسوب لأقول لها أن لا تنتحب، وأنه لم يعد هناك سبب لذلك البكاء، بطراً لأننا سرقنا الرسائل ونظراً لأنني اضطررت لأوضح لها كل شيء، فقد استغرق ذلك مني بعض الوقت.

وسأل «القط» معماً بالفتول:

- لقد أحسست بالسرور، أليس كذلك؟

- بلى. أحسست بالسرور. وقد سحبت بيدها على رأسي؛ ثم شكرني.. سأنت هي الله أن يجمي

- كف عن الحياقة، أيها الزنجي. سأنت فقط إن كانت مسرورة ولكن فقط من أجل السرير. وإذا كنت قد رأيت ذلك الداعر...

لم يجيب الزنجي. ودخلت سبارة في الشارع. وورث بيدرو بالا على كنف الزنجي، وكان جواو غراندي يعرف أن الزعيم يوافق على ما فعل، أي الزنجي. حينئذ انصاه وجهه بالفرح والاحتشاش. وهمس.

- كنت أحب فقط أن أرى رأس الخادم حين سيفتح رب العمل الرزمة ولا يجد فيها ما كانا ينتظران.

كماوا قد دخلوا شارعاً آخر، وانطلقوا ثلاثتهم لا يلبسون على شيء، مطلقين عاصفة ضحك. هو ضحك «مرسان الرواق» الذي كان بمثابة نشيد شعب باهيا.

* * *

أصواء مضممار الخيول الخشبية

عن مضممار الخيول الخشبية، الذي كان متعلقاً به بشكل خاص، وإلى درجة كبيرة، فقد قام بتفكيكه في أحد الأيام بمساعدة بعض الاصدقاء. وبدأ بارتياح مديني الاغواس وسيرجيب. وخلال هذا الوقت، كان الدانثون يعتنونه بجميع أسماء الطيور، التي يعرفونها لقد كان له ماضٍ جميل، هوزنو فرانس، مع مضممار خيوله الخشبية وبعد أن ارتاد جبع المدن الصغيرة في الولايتين وبعد أن سكر في جبع خاراتها، دخل إلى ولاية باهيا. ووصل به الحد إلى اقامته عرضاً لعصابة لامبيار.

كان في قرية فقيرة في داخل البرازيل، وكان يفتقر إلى النقود، ليس فقط لاجل نقل مضمماره، بل كان لا يجد ما يدفع به اجرة الفندق البائس الذي ينزل فيه، والذي كان الوحيد في تلك البلدة، ولم يكن لديه لمن كأس واحد من الحمرة، ولا البيرة التي لم تكن دائراً مملدة، لكنه كان يمحها رغم ذلك. إن مضممار الخيول الخشبية، المقام على كلاً ساحة « الماتريس »، كان متوقفاً منذ اسبوع. وكان هوزنو فرانس يننظر ليلة السبت وبعد طهر الأحد ليري اذا كان سيكسب بعض المال للانتقال إلى مكان افضل. لكن يوم الحمرة دخل لامبيار إلى القرية مع ٢٢ رجلاً، وحينئذ تحسن كثيراً عمل المضممار. فهؤلاء الكانغاسيروس^(١٠)، الكبار، كانوا مثل الأولاد - وهم أي الكانغاسيروس في ذمتهم عشرون أو ثلاثون قتيلاً - وجدوا مضممار الخيول الخشبية محققاً لمعنى لذيدة، وكانوا يرون أن التنفر إلى أضوائه الدوارة، وسماع الموسيقى العتيقة للبيانو الآلي التابع للمضممار، وركوب هذه الخيول الخشبية البراء، تحقق لهم اعظم متعة وأكثر سرور. إن مضممار هوزنو فرانس قد انتقد البلدة من النهب. والعتيات من الاعتصاب، والرجال من الموت. إن الجنديين التابعين لشرطة باهيا، والذين كانوا يصيغون حذائها امام مركز الشرطة، قد اعددهما الكانغاسيروس، وذلك أيضاً قبل أن يسرى الكانغاسيروس المضممار المقام على ساحة « الماتريس » وربما، بدون شك كان يمكن أن يعمر لامبيار حتى لشرطة باهيا في ليلة السعادة الكبرى هذه، سانسبة لعصابة الكانغاسيروس. وأصبح هؤلاء، حينئذ مثل الاولاد، وذاقوا هذه السعادة التي لم يسبق لهم أن ذاقوها حين كانوا اولاد فلاحين فقراء: امتطاء جواد خشبي، والدوران معه حيث تعرف موسيقى بيانو آلي، وحيث الاصواء، متعددة الألوان: زرقاء، وخضراء وصفراء ونفسجية وحمراء، مثل لون الدم المتفجر من أجساد من يتعرضون للاغتتيال. هذه القصة هي التي رواها هوزنو لا « الكوك الناشف »، (والتي حرصت بشدة)،

لم يكن « المضممار الياباني الكبير » سوى لعبة خيل برازيلية صغيرة تصل، بعد جولة محزنة عبر مدن الداخلة الثالثة، عز شهر الشتاء هذه، حين تكون الامطار تهطل بلا انقطاع، وعيد الميلاد ما زال بعيداً أيضاً. ولشدة ما نفضل لونا الجياد الخشبية - وكاننا في الماضي أزرق وأحمر، والأصيح الأزرق ابيض قذراً، وصار الاحمر لوناً زهرياً تقريباً - ولكرة القطع التي كانت تنقص الجياد الخشبية، وبعض المقاعد بحيث قرر السيد فرانس، هوزنو فرانس، أن يعرض العباب الجياد الخشبية في ايتاباجيب، وليس في إحدى الساحات الهمة في المدينة، وفي ايتاباجيب لم تكن العائلات غنية جداً، وهناك كثير من الشوارع الهائلة فقط، واستطاعة الاولاد الفقراء أن يقدروا مضممار الخيول الخشبية العتيقة الصالحة اللون. وكانت الشاشة مثقوبة هي أيضاً. هذا بالإضافة إلى صعوبة هائلة كانت ترغم المضممار على أن يتوقف عرضه على مزاج المطر. لقد كان لهذا المضممار عمده البديع، وكان معفرة اولاد ماسايو. في أزمنة ماضية، ذهبت دون رحمة، كان مضممار الخيول الخشبية المملونة يقوم بين جبل روسي ونفق اصطناعي، دائماً في نفس الساحة، وفي أيام الاحاد والاعياد، كان اولاد الاغنياء اللابسين ثياب البحارة، أو أزياء سفن اللوردات الانجليز، والبسات الصعيرات بالملابس المولندية أو بالنساتين الحريرية الناعمة بأنون جيماً للحلوس على جيادهم المفصلة. وكان أصغرهم سناً يمتلون المقاعد مع مرضعاتهم. وكان أهل الاولاد يذهبون إلى الجبال الروسية الاصطناعية وآخرون كانوا يفضلون التنق حيث يستطيعون حشر النساء، ويمسون سيقانهم ومؤخراتهم في كثير من الاحيان. كان مارك العباب هوزنو فرانس في ذلك الحين يشكل نعيم المدينة. وأفضل من ذلك كله، هو أنه كان يدر النقود دائراً بصورة لا تكل باضوائه المتعددة الألوان. كان هوزنو يجد الحياة جميلة والنساء جميلات، والرجال يلاطفونه، لكنه كان يسرى أيضاً أن المشروب جيد هو أيضاً وأنه يعمل الرجال أكثر لطفاً، والنساء أكثر جمالاً وهكذا تهرب في البدء التنق، ثم الجبل الروسي. وائر ذلك، ونظراً لأنه لم يكن يريد الانفصال

(١٠) الكانغاسيروس: ملاحون فقراء يتحولون إلى قطاع طرق.

وله ذي الرجل الرخوة» في فترة بعد الظهر تلك حين التقاهما في حانة «باب البحر» (بورنادي مار) ودعاها لمساعدته في تحريك مضمار الخيول الخشبية، خلال الايام التي يسقام فيها هذا المضمار في باهيا، ببلدة ايناباجيب، ولم يكن باستطاعته أن يحدد لها أحوالاً، ولكن ربما استطاع كل منهما أن يكسب زهاء خمسة آلاف ريس كل ليلة. وحين عرض «دو الكوع الناشف» قدزته على تقليد مختلف أنواع الحيوانات، تحمس نهورنو فرانساً له غاية الحماسة، وطلب من اللادل زجاجة بيرة جديدة وأعلن أن «ذا الكوع الناشف» سيظل عند باب المضمار ليدعو الجمهور إلى الدخول، في حين أن «ذا الرجل الرخوة» سيساعده على الآلات وستكلف امر البيانو الآتي. وهو نفسه سوف يبيع بطاقات الدخول عند توقف المضمار. وحين يسير المضمار، يتكلف «ذا الكوع الناشف» بالمأساة.

وقال نهورنو وهو يغمز بعينه وبين الحين والحين، نخرج لشرب كأس، في حين يقوم الآخر بمجدمة الأثنين

لم يسق «لذي الكوع الناشف» و«لذي الرجل الرخوة» أمداً أن تقبلا فكرة مثل هذه الحماسة. لقد سبق لها أن شاهدا مراراً مضماراً للخيول الخشبية، لكنها كانا يريانه دائماً عن بعد، محاطاً بالاسرار، وعبادة السريعة تمتطيها اولاد الاغنياء، السريسي البكاء، بل إن «صاحب الكوع الناشف» قد نجح - في احد الايام حين تسلل إلى بارك العباب اقيم في منزله عام - بشراء بطاقة دخول، لكن الحارس طرده من ذلك المكان لأنه كان رث الشباب، واثر ذلك لم يقبل قاطع التذاكر أن يعيد له ثمن اللطاقة، مما دفع «ذا الرجل الرخوة» لأن يستولي على جارور الصندوق الذي كان ممتوحاً ويحتوي على جميع مقود الفرقة، وكان عليه أن يخفي من المنتزه العام بصورة سريعة جداً. في حين كانت تسمح في جميع أرجائه صباحات «إلى اللص، إلى اللص»، وحدث اضطراب وهياج هائلان بل رهبان، في حين كان «ذا الرجل الرخوة» يهبط هدهو تام على طريق «غامبو دي سبوا»، حاملاً في جيوبه على الاقل خمسة اضعاف ما دفعه ثمن بطاقة الدخول. لكن «ذا الرجل الرخوة» كان يفضل، طمناً، أن يدور عمطياً هذا الجواد الهائل الذي له رأس تينين، وهو أروع جواد تضمه مجموعة المضمار البديعة. وقد أحس منذ ذلك الحين بالبقضاء ازاء رجال لشرطة. ويجب اكر للمضمارات البعيدة. والآن، ها قد جاء رجل يدفع ثمن البيرة، ويتحده معجزة حين يذعره للميش بضمة أيام مع مضمار حقيقي للخيول الخشبية البديعة الألوان، ولأن يتحرك معه، ويمتطي خيوله، يري عن قرب دوران اوضاعه المتمددة الألوان. وبالنسبة «لذي الرجل الرخوة» لم

يكن نهورنو ذلك السكر الذي يجالسه حول مائدة حانة «بورنادي مار» البانسة، ففي نظره، كان نهورنو يمثل كائناً خارقاً شيئاً مثل الله الطيب الذي يصلح له «سكر الشعير» شيئاً مثل كساننو، شفيج جواو غراندي، و«حبيب الله الطيب» ذلك لأنه لا الأب جوزيه بيدرو، ولا (ماي- دي سانتو- دو آينها) كانوا قادرين على اجترار معجزة كهذه. وفي ليالي باهيا، في ساحة ايناباجيب، سوف تدور اوضاع مضمار الخيول الخشبية بمجون، ويقوم بجائنها وتحريكها «ذا الرجل الرخوة». كان ذلك كائناً في حلم، حلم مختلف تماماً عن الاحلام التي كان هو «ذا الرجل الرخوة» قد اهتاد أن يراها طوال ليالي قلعة. ولأول مرة. نديت عيناه بدمرغ لا تكن ناجمه لا عن العذاب ولا عن الغضب. كانت عيناه الرطبان تاملان نهورنو فرانساً بعبادة. فمن أجله، كان «ذا الرجل الرخوة» مستعداً حتى ليدبح رجل بالموسى التي يحملها بين السطال والكزة العتيقة السوداء التي كان يلبسها بمناية ستر.

- هذا شيء، بديع ورائع، هكذا قال بيدرو بسلا وهو ينظر إلى مضمار الخيول الخشبية الملونة بعد اقامته.

وكان جواو غراندي يطرف بعينه لكي يرى بصورة أفضل. وكانت قد علقت المصاحب الزرقاء والخضراء والصفراء والحمراء.

إنه قد تم وناصل الألوان مضمار نهورنو فرانساً، لكن له جماله. وربما كان هذا الجمال يكمن في اوضاعه أو في مرسقي البيانو الآلي العتيق، (قالست قديمة لأزمنة هاربة)، أو ربما في جباهه الخشبية الملونة. وبينها كان يوجد مكان يجلس فيه الاطفال الصغار. أحل، كان له جماله، ذلك لأنه كان هذا هورأي و«فرسان الرمال» المجمعين على أنه جبل حدأ ورائع. وما همّ أن يكون عتيقاً ومحطاً، ومحو الألوان، اذا كان يروق للأولاد؟

كانت معاجزة لا تصدق تقريباً حين وصل في تلك الليلة إلى المستودع «ذا الرجل الرخوة»، معلناً أنه هو «دو الكوع الناشف»، سوف يعملان بضمة أيام في مضمار للمجول الخشبية الملونة. كثيرين لم يصدقوها. ووطنوا، أن هذه مزحة جديدة من «ذي الرجل الرخوة». حينئذ ذهبوا ليلسأوا «ذا الكوع الناشف» الذي كان، يقبي كعادته حائساً في راوبته، ملا كلام، يتمحص سمدساً سرعة من عمل لبيع الأسلحة. وأيد «ذا الكوع الناشف» هذا التبا نايماً، من رأسه. وكان يقول بين الفينة والنية:

- لقد ركب لسيابوا أحد هذه الخيول، معلماً. إن لسيابوا هو عرابي...
ودعاهم «ذا الرجل الرخوة» جميعاً لأن يذهبوا ويشاهدوا مضمار الخيول الخشبية

في الليلة القادمة، بعد أن تم اقامته. ثم ذهب لملاقاة نهورتزو فرانساً. في تلك اللحظة، فإن جميع القلوب الصغيرة التي كانت تنبض في المستودع قد غمطت و ذا الرجل الرخوة، على سعادته الكبرى، وحتى «سكر الشمر» الذي كانت لديه صور قديسين على جداره. وحتى جوار غراندي الذي كان من المقرر أن يذهب هذه الليلة بالذات مع «حبيب الله الطيب» إلى رقص الكاندونيلية دي برو كويبو، في بلدة ماتونو. وحتى «الاستاذ» بالذات، الذي كان يقرأ كتاباً، ومس يدي ما اذا كان بيدرو بالا هو أيضاً، هو الذي لم يكن يمسد أحداً أبداً لأنه كان زعيمهم جميعاً.. أجل، جميعهم حسدوا و ذا الرجل الرخوة»، «كما حسدوا و ذا الكوع الناشف» الذي كان جالساً في راويته، وشعره المتناثر الاثنت بدون تسريح، وعيناه مفتوحتان نصف فتحة، وفمه ماعر قليلاً في تكشيرة غضب، وهو يشهر مدسه اما على واحد من الصبيان، واما على جرد مير قربه، أو على الجموع التي كانت كثيرة جداً في السماء.

وفي الليلة التالية، ذهبوا جميعهم مع «ذي الرجل الرخوة» و «ذي الكوع الناشف» (كان هذا الأحرار قد قضيا السهار في الخارج يساعدان نهورتزو في اقامة مضمار الخيول الخشبية) لمشاهدة هذا المضمار بعد اقامته. كانوا واقفين امامه، وقد خلب الباهم جماله، وقد فغرت افواههم لفرط الاعجاب. وكان و ذا الرجل الرخوة و بينهم بالتفصيل كل مجالات المضمار. وكان و ذا الكوع الناشف و بصحبه واحد و واحداً لكي يتأملوا باعجاب الجواد الذي امتطاه عرابه، فيرغولينو فريسوا لامبياو. وكان هناك زهاء مئة من الاولاد الذين وقفوا يتأملون مضمار نهورتزو فرانساً المسن، الذي كان في تلك الساعة، يسكر سكرة هائلة في حانة «لابورتا دي مار» (د باب البحر). قام و ذا الرجل الرخوة و باطلاعهم على الآلة (وهي محرك صغير كان كثيراً ما يتوقف عن العمل) باعتزاز الملك. ولم يعد و ذا الكوع الناشف و بترك الحصان الذي امتطاه لامبياو. وكان و ذا الرجل الرخوة و بعض عناية كيرة بمضمار الخيول الخشبية، ولم يكن يسمح لاحد بأن يمسهما أو يحركهما مهما كان السبب.

حينئذ سأل «الاستاذ»:

- هل أصبحت تعرف تشغيل الآلات؟
- غداً سوف اعرف ذلك، هكذا اجاب و ذا الرجل الرخوة، بعض الاستياء.
- وقال: عداً السيد نهورتزو سوف يعلمني ذلك.
- اذن عداً، بعد أن تنهي عمالك، تستطيع أن تدير مضمار الخيول الخشبية لأجل الاصدقاء وحدهم. انك ستفعل ما ينبغي لتسيير المنطومة، ونحن نجلس للفرجة

سأيد بيدرو بالا التفكير بجماسة. وكان الآخرون ينتظرون بقلق، جواب و ذي الرجل الرخوة « وهذا الأخير قل. وحينئذ صفق العديديون، وأطلق آخرون الصيحات. في هذه اللحظة، تجرل و ذا الكوع الناشف، عن الحصان الذي سبق أن امتطاه لامبياو، وأقبل «و ذا الكوع الناشف» و محوم.

- هل يزيدون أن نرأ شيئاً حياً؟

كان الجميع يريدون ذلك، صعد السيرتانيجو^(١١) إلى المضمار، وسير البياسو الآلي، وأسمعهم انغام رقصة فالس من أيام زمان. كان وجه و ذي الكوع الناشف، القائم - بوضاء - بانسامة كان يتأمل قبياتو الآلي، ويراقب الاولاد المأخوذين بالفرح. كان هؤلاء بصغون بجمارة إلى الموسيقى التي كانت تنفجر من بطن مضمار الخيول الخشبية، في سحر ليل باهبا، وذلك فقط من أجل أدان و فرسان الرمال و المغامرة والشجاعة. كان الجميع صامتين. واقرب منهم عامل كان يمر في الطريق، حين رأى تجمع اليراد على هذا النحو. هو أيضاً لث سكتاً بلا حراك وهو يصغي إلى هذه الموسيقى الهندية. حينئذ غمر ضوء الدر الجميع. وازداد لمعان النجوم في السماء. وازداد هدوء البحر لعل اميرة البحر ايمانجا جاءت هي أيضاً لسماع الموسيقى) ولم تعد المدينة سوى مضمار كبير كان يدور عليه على خيول غير مرئية و فرسان الرمال». في هذه اللحظة الموسيقية، أحسوا هم بأنهم سادة المدينة. وأحب بعضهم بعضاً، وأحسوا بأنهم أخوة. لأن الجميع كانوا معاً محرومين من الحنان والرعاية، والآن اصبح لديهم حنان لموسيقى و رعابيتها. ومؤكد تماماً أن و ذا الكوع الناشف لم يكن الآن يفكر في لامبياو. ويدرو بالا لم يعد يفكر في اليوم الذي سيصبح فيه زهم جميع المالا اندروس^(١٢) في المدينة، وكف و ذا الرجل الرخوة و عن التفكير في الأرقام بالبحر حيث جميع الاحلام جميلة لأن الموسيقى كانت تنفجر من بطن مضمار الخيول الخشبية القديم، لهم وحدهم، وللعامل الذي وقف يصغي إلى الموسيقى. وكانت هذه الموسيقى رقصة فالس قديمة وحرية، ولحناً منسياً لرجال المدينة

(١١) السيرتانيجو: ولد من اهل سيرتار

(١٢) دنياهم معهم المغر في تكوير عصابات من قاطني الطرق والصوص. الحاملين مع ذلك قنارات الرقص والجماء.

- ملاحظه من المترجم -

كان اشخاص يتوافدون من جميع الشوارع. انها ليلة سبت: غداً، لن يذهب الرجال إلى عملهم. وهذه الليلة يستطيعون التأخر في الطرقات. كثيرون منهم فصلوا الخنازير وكانت حانة «باب البحر» تغص بالزوار، لكن الدين لديهم اولاد جاؤوا معهم إلى الساحة النيئة الإضاءة ومئاته تعويض، كانت هه أضواء مضمار الخيول الخشبية، الدوارة كان الاولاد ينظرون إلى الأضواء والخيول ويصفقون بأيديهم فرحاً. وعند الباب، كان «ذو الكوع» الناشف، يطلق صرخات حيوانات ويدعو المحمور إلى الدخول. وكان يحمل جمعة خرطوش كأنه بصطاد في مراري سرتاو. لقد اعتقد نيوزنهو أن هذا يستلقت انشاء الناس، وكان «ذو الكوع» الناشف، يشبه حقاً الكائنغاسيرو، يبعثه الجلدية، وجمعه الصادية. وراح يجماكي صيحات الحيوانات حتى اجتمع حوله رجال وساء وأولاد. وحينئذ جعل بعض بطاقات للدخول كان الآخرون يشترونها. كانت البهجة والفرح بغيرمان بأسرهما. وأضواء مضمار الخيول الخشبية تنهع المحجم. وفي الوسط، كان «ذو الرجل الرخوة» مرفقاً يساعده نيوزنهو فراسا في تشغيل المحرك. والمضمار يدور متقللاً بالاولاد. والبياسو الآلي يطحن فساته القديمة؛ و«ذو الكوع» الناشف» يبيع بطاقات الدخول.

وفي الساحة، كان أزواج العشاق ينتزهون. وربات المنازل يشتري قطع البيوضة (الاسكيو)، والشربات، وكان شاعر جالساً قرب البحر، ينشد قصيدة طويلة يتغنى فيها بأضواء المضمار وبهجة الأطفال. كان مضمار الخيول الخشبية يضيء الساحة وجميع القلوب. وفي كل لحظة، كان الناس يصلون من الشوارع والزوارب. و«ذو الكوع» الناشف» يجماكي اصوات الحيوانات وهو يلباس الكائنغاسيرو. وحين كان المضمار يتوقف عن الدوران، كان الاولاد يجتاحونه مرمزين بطاقات الدخول، وكان من الصعب كبحهم. وحين كان احدهم لا يجيد مكاناً له، كانت ملامح وجهه تنكسي زعلاً مخزناً، في حالة قريبة من اليأس، وينظر واقعاً ينتظر دوره بفارغ الصبر. وحين يتوقف مضمار الخيول الخشبية. كان ممتطو الجياد يرفضون النزول. كان يتوجب حينئذ أن يصرخ «ذو الرجل الرخوة» بهم:

- هيا، ابرلوا! هيا، ابرلوا! أو اشترى بطاقة ثانية.

كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لمجملهم بغادرون الجياد الخشبية القديمة، التي لم تكن تنص أنداً من السباق الابددي. وكان غيرهم يركبون الطمايا، ويستأنف السباق، وتدور الأضواء، وتنصهر جميع الالوان في لون واحد غريب، والبياسو الآلي يصعب انغامه القديمة.

وكان على المقاعد الخشبية البسيطة أيضاً أزواج من العشاق، وهم، ومضمار الخيول الخشبية الملونة يدور في بهجة ووشاقة شبية، ينادلون همساً كلمات الحب. بل كان هناك عشاق وممشوقات ينادلون قلات شه مختلفة حين يتوقف المحرك هنيهة، وتنطلي الأوار. حينئذ كان نيوزنهو فراسا و«ذو الرجل الرخوة» بمكفان على المحرك ويتحصن العطل حتى يستأنف الدوران، متلافين احتجاجات الاولاد لقد أصبح «ذو الرجل الرخوة» يعرف جميع اسرار المحرك.

وفي لحظة ما، كان نيوزنهو فراسا يرسل «ذو الرجل الرخوة» ليحل محل «دي الكوع» الناشف» في بيع بطاقات الدخول، ويتبع له «ذو الرجل الرخوة» قمرصة لا متناه أحد الجياد الخشبية، وكان الغلام الصغير يجتار الحصان الذي سبق أن استاه لأميوار، وكان طوال وقت الدورة، يمضي قافراً كأنه يمتطي حواداً حقيقياً، وكان يسدد اصغره وكأنه يسطلق النار على الاولاد الذين امامه، وكان يراهم في تخيله يسقطون في مركبة من الدم، تحت طلفاته المتكررة. وكان الجواد يعدو، وتزداد سرعته باستمرار، لكن الغلام كان يقتلهم جميعاً لأنهم كانوا في نظره جنوداً أو مزارعين اغنياء. وإثر ذلك، كان يمتلك على المقاعد جمع النساء الحسنات، وينهب القرى، والمدن، وقطارات السكك الحديدية، ركباً صهوة حواده، ومشهوراً بندقية.

وإثر ذلك، يأتي دور «دي الرجل الرخوة». كان يذهب إلى جواده الخشي الأزرق أو الاحمر، وهو صامت، كان انفعال غريب يستولي عليه كان يمضي كما يذهب المؤمن إلى القديس. والعاشق إلى صدر المرأة المحبوبة، واليأس نحو الموت. كان يمضي شاحناً، اعرج. ويمتطي جواداً أزرق، يحمل ثلاثة محرم على كتفه الخشبية. كانت شفتاه مزمومتين، وأذناه لا تسمعان موسيقى البيانو الآلي. كان يسري فقط الانوار التي تدور معه، وكان يتعلق بيقين في داخل نفسه بأنه في مضمار من الخيول الخشبية يدور في دائرة، مثل جميع هؤلاء الاولاد الذين هم أب وأم ومنزل، وأشخاص يقبلونهم، وكائنات تمهم. كان يتصور أنه منهم، وينغمض عينيه لكي يحتفظ بصورة أفضل لهذا اليقين. وهو لم يعد يرى الجنود الديس أو صغوه ضرساً، والرجل لاس السترة الذي كان يصحك. لقد قتلهم «ذو الكوع» الناشف» في ركوبه. و«ذو الرجل الرخوة» يتطلق على حواده مهيباً ثابت الجناح. كان يحس وكأنه يتطلق طائراً على موح البحر، صاعداً نحو النجوم، في أروع رحلة في العالم وأكثرها اثارة للدهشة. رحلة لم يسبق له الا استاد» أبداً أن قرأ مثلها ولا تجملها كان قلبه ينصب بقوة، بقوة، بقوة إلى حد أنه شد عليه بيده.

في تلك الليلة، لم يأت فرسان الرمال. وليس فقط أن نشاط المضار على الساحة انتهى في وقت متأخر (في الساعة الثانية فجراً كانت الهجاء ما زالت تدور)، بل أيضاً لأن العديد من أفراد الفرسان، ممن فيهم بيدرو بالا، و الشارب اللطيف، و بارانداو، و الأستاذ، كانوا مشغولين بشؤون مختلفة. وقد تم انقائهم، بالنسبة لليوم التالي، على الالتقاء حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة صباحاً، وسأل بيدرو بالا، و ذا الرجل الرخوة، إذا كان قد أصبح يعرف تشغيل المحرك، وقد أوضح بيدرو قائلاً: - لا فائدة في أن تلحق الاذي بمعلمك.

- لقد أصبحت أعرف كل شيء عن ظهر قلب، وعلى أطراف اصابعي. إنه نموذج للعمل المنهك. وسأل و الأستاذ، الذي كان يلعب الضامة مع جوارو غراندي: - ألا ترى أنه سيكون من المناسب، أن نغطف رحلتنا إلى الساحة، بعد ظهر اليوم⁴ من يدري، قد يكون هناك ما يستحق أن نذهب؟

قال بيدرو بالا أنا من حبيتي سأذهب. لكنني أعتقد أننا لا نستطيع أن نذهب إلى هناك بعدد كبير. فالجامعة يمكن أن يسوا بقلق لدى رؤيتهم عدداً كبيراً منا، دفعة واحدة. - يقول، الفط: انه لن يذهب في فترة بعد الظهر إنه مشغول، بما أنه سيكون مهتماً قليلاً في مضار الخيول الخشبية.

فقال، دو الرجل الرخوة، ساخراً:

- الا تستطيع أن تقضي يوماً بدون أن تحرك فيه محذيك مع تلك المومس، ما تولك⁵؟ ستكون مصيرك ناعساً يا صديقي.

لم يجب «الفط». إن حواو غراندي هو أيضاً أن يذهب في فترة بعد ظهر اليوم. اذ أنه قد قرر أن يلتقي به حبيب الله اللطيف، لكي يدهبا لتناول الطعام عند دون آينتها لاماي دي سانتو. وفي النهاية، تقرر أن يذهب فربسب صغير للعمل في الساحة. ويستطيع النافون الدهاب حينما يشاؤون. وفي الليل فقط، سوف يجتمعون كلهم لاستقاء خيول المضار الملونة. وقال، دو الرجل الرخوة، محذراً

- يجب احصار السرين، اياه الفتيان، للمحرك. وقام و الأستاذ (كان قد كتب ثلاث جولات من جوارو غراندي) جمع بقود من رفاقه لشراء لبتيرين من البتيزين: - ساحصر البتيزين

ولكن في فترة بعد ظهر يوم الاحد جاء الأب جوزيه بيدرو، الذي كان مس الاخصاخص الساديرين جداً الذين يعلمون أين هو الملجأ الأكثر دواماً لـ فرسان الرمال. و قد ارتطت الاب جوزيه بيدرو معهم معرى الصداقة منذ زمن طويل. وهذه

الصداقة نشأت بواسطة و الشارب اللطيف، أحد صبيان العصاوية. وكان هذا الاخير، قد تسلل يوماً، بعد القداس، إلى موهف^(١٣) (سكرتيا) احدى الكنائس حيث كان لال جوزيه بيدرو يقوم بالخدمة المقدسة. وكان و الشارب اللطيف، قد دخل إلى هناك لمجرد الفضول قبل أي شيء آخر. هذا العلام لم يكن من الذين يتمتعون كثيراً بشؤون الحياة والسعي إلى الرزق. كان يجب ترك الوقت مضي، دون أن يكلف نفسه رهقاً كان على الأخص، طفلياً في الجماعة. وفي بعض الايام، حين يشاء هواه، كان ينسلل إلى احد المنازل، ويأخذ منه شيئاً نجساً، أو ينش - عة شخص ما. ولم يكن يقوم أبداً، تقريباً تسلمت لم يسرق لمن اعتادوا اخفاء الاشياء السرورقة، بل كان يحصره، ويسلمه إلى بيدرو بالا، بمثابة اسهام منه في حياة الجماعة. وكان له اصداقاء كثيرين بين جمالي الميناء، وفي مختلف منازل الفقراء في مدينة القش، وفي مواضع عديدة من ولاية ناهيا. وكان يأكل على هائدة هذا، ثم على المائدة ذاك، من الناس وبصورة عامة. لم يكن ينير سأم احد. وكان يكتبني بالنساء اللواتي يزدن عن حاجة و القطه و كان يعرف، افضل من أي شخص آخر، المدينة وطرقاتها، والمواضع الأكثر اثاره للمعول، واماكن الاحتفالات والاعباد، حيث يذهب ليشرب ويسرقص. وحين تعصي بعض الزم من لم يساهم فيه بشيء، تخين في التنظيم الاقتصادي للجماعة. كان يبذل جهداً وينصرف بحيث يحصل على شيء، يعود بالثمود، ويسلمه إلى بيدرو بالا، لكنه، في الحقيقة، لم يكن يجب اي نوع من العمل، أو شيئاً كان أو غير شريف. وما كان يجب هو أن يتمدد على رمال الشاطي، ساعات وساعات، يرصد السفن، والبقاء مقرصاً فترات كاملة لما بعد الظهر على أبواب حوانيت البقالة، مصعباً إلى قصص البسالة التي يرويها عمال أو صيادون. كان يرتدي الامسال الرثة، ذلك لأنه لم يكن يغير ملابسه الا حين تسقط خرقاً مزقة. كان يجب التسكع في طرقات المدينة، أرتقتها وشوارعها، دخلاً إلى بعض الحدائق لتدخين سيجارة، أو إلى احدى الكنائس ليتأمل ماعجاب جمال الذهب العتيق، مشترداً عبر الطرقات المبلطة بمجاراة كثيرة سوداء.

في ذلك الصباح، حين رأى الناس حارحين من القداس، دخل إلى الكنيسة دون سرور. وشن طريقه نحو الموهف (السكرتيا) وراح يتنحصر كل شيء، المداح، والقديسين، ووقف بسخر من صورة تمثال القديس نونا، الشديد السواد. لم يكن يوجد

(١٣) موهف (سكرتيا). مكان موعه فيه وبيات الكنيسة، وحيث يرتدي الكهنة ملابسهم الكهرونية - ملاحظة من المترجم -

أحد في الموقف، ورأى حلبة ذهبية يمكن أن ندر نقوداً كثيرة. وألقى نظرة الأخيرة حوله، فلم ير أحداً. مد يده لكن شخصاً لس كتمه، كان الأب بيدرو قد دخل:

- لماذا تفعل هذا يا ولدي؟ هكذا سأله الخوري باسماً، في حين كان يسحب من يده «الشارب اللطيف» والذخيرة الذهبية.

- كنت انظر إليها فقط، يا ابنتي... إنها مزيفة... هكذا أجاب «الشارب اللطيف» محسباً ببعض الخوف. وأردف: نعم، إنها مزيفة تماماً... لكن لا تظن أنني كنت سأمرقها بل كنت سأتركها هنا، هكذا، كما هي. إنني من عائلة محترمة.

لقى الأب جوزيه بيدرو نظرة سريعة على أمهال «الشارب اللطيف» وأغرق بالضحك. ونظر «الشارب اللطيف» هو أيضاً إلى ثيابه الرثة.

- هذا لأن والدي قد توفي، في الحقيقة. لكنني كنت أدرس في كلية... أنا أقول الصحيح. ولماذا أسرق هذه الحلبة؟

وأشار إلى الذخيرة الذهبية وأضاف:

- ولي كنيسة أيضاً أنا لست وثياً.

ابتسم الأب جوزيه بيدرو ببدءاً كان يعرف تماماً أن «الشارب اللطيف» يكذب. منذ زمن طويل كان الخوري ينتظر فرصة تمككه من الاتصال بالأولاد المشردين في المدينة. كان يعتقد أن الرسالة المناطة به هي هذه: مساعدة الأولاد المشردين. وكان قبلاً قد زار مراراً دور الإصلاحيات، لكن المسؤولين عن تلك الدور كانوا يصنعون امامه عقبات وحواجز من كل نوع، لأنه لم يكن يوافق على رأي المدير القائل إن أفضل وسيلة لإصلاح ولد ارتكب ذنباً هي صربه بلا هوادة. ومنذ زمن طويل كان الأب جوزيه بيدرو يسمع الاحاديث عن «فرسان الرمال» ويحلم بالاتصال بهم. وبأن يتمكن من هدي جميع هذه القلوب إلى الله. كانت لديه رغبة شديدة جداً بالعمل مع هؤلاء الأولاد، ومساعدتهم على أن يكونوا أختياراً لذلك، عامل «الشارب اللطيف» بأفضل ما استطاع ومن يدري، فرعاً بواسطة هذا الغلام سبيل إلى «فرسان الرمال»؟ وهكذا كان.

في الاكثريوس، لم يكونوا يمتدرون الاب جوزيه بيدرو كبير الذكاء. بل لقد كان احد اكثر مجموعة كهنة ناهيا نواضعاً. وفي الواقع، فقيل أن يدخل إلى المدرسة الاكثريكية، كان الأب جوزيه عاملاً، لمدة حسن سنوات، في مصنع اقمشة. وقد قرر مدير المصنع، في أحد الأيام، عند زيارة المطران لهذا المصنع، أن يقدم دليلاً على

سخاء نفسه فأعلن بأنه «نظراً لأن سيدنا المونسنيور يشكو من قلة الدعوات»⁽¹⁴⁾ الرهبانية، فإنه أي صاحب المصنع، مستعد لأن يدفع نفقات تعليم طالب في مدرسة الاكثريكية، أو نفقات طالب آخر يريد أن يدرس ليصبح كاهناً. عندئذ، اقترب جوزيه بيدرو، وكان يعمل على البول، وقال إنه يريد أن يصبح كاهناً. كانت هذه مفاجأة لرب العمل والمطران على حد سواء. إن جوزيه بيدرو لم يعد شاباً، ولم تكن لديه أية ثقافة. لكن رب العمل، لم يكن يريد، أمام المطران، أن يسحب كلامه. وذهب جوزيه بيدرو إلى المدرسة الاكثريكية وجعل تلامذتها يسخرون منه، ولم يجع أبداً في أن يكون تلميذاً يجتهداً. كان سلوكه جيداً، بالتأكيد، ومن أنقى التلامذة، ومن الذين يرتادون الكنيسة أكثر من سواهم. ولم يكن يوافق على كثير من الامور التي تحصل في الدير، ولأجل هذا كان التلامذة يضطهدونه ولم يكن باستطاعته فهم اسرار العليسة. واللاهوت، واللغة اللاتينية. لكنه كان ورعاً نقياً، وكان يرغب في تعليم سادى، الدير للولاد وللهنود الخمر. وقد عانى كثيراً من الآلام والعداب، وعلى الاحص حين توقف صاحب المصنع، بعد سنتين، عن دفع نفقات دراسة جوزيه بيدرو، فاضطر هذا الاخير ليعمل خادماً في الدير لكي يستطيع الاستمرار. لكنه استطاع أن يسام كاهناً محمى الحاقه باحدى كنائس العاصمة في انتظار الخورونية (قرية يجدهما كاهن) ومع كل ذلك، فقد كانت رغبته الكبرى هي أن يعلم الأولاد انشردين في المدينة مبادئ الدين، هؤلاء الصبيان الذين كانوا ملا أب، ولا أم، ولا مرل ويعيشون على السرقة، معرضين لجميع الآلام والأفات. كان الأب جوزيه بيدرو يريد أن هدي جميع هذه القلوب إلى الله. وهكذا راح يرتاد دور الإصلاحيات، حيث استعمله المدير، باذي، يده بلفظ كبير. ولكن حين اعلم الكاهن أنه صد العقوبات الحسدية. وصد عملية ترك الأولاد فريسة للخروج طوال أيام، حينئذ تعير الوضع، وسارت الامور بطريقة أخرى وفي هذا التصدد، اضطر الكاهن في أحد الأيام لكتابة رسالة إلى هيئة تحرير احدى الصحف. ومنذ ذلك الحين، مُنِع (بضم الميم وكسر النون) الأب جوزيه من دخول دار الإصلاحية، بل وقد جرى توجيه شكوى ضده إلى مقر الاشرية. وبسبب كل هذا، لم يتمكن من أن يكون له رعايا ماثرون. بيد أنه كان يحس نورهه شديدة وكبيرة في التعرف إلى «فرسان الرمال»، إن مشكلة الأولاد

(14) «الدهرة الربانية Vocatio» أو الارشاد الرباني، وهو دعاء باطلي (شعور الاساس بأنه مدعو للقيام بعمل اجتماعي أو ديني خاص).

- ملاحظة من المترجم -

القاصرين والحامص، التي لم تكن نهم أحدًا تقريباً في المدينة، كانت أكثر هموم الأب جوزيه بيدرو. كان يريد مقاربة هؤلاء الأولاد، ليس فقط لهدئهم إلى الله ولكن أيضاً لكي يرى ما إذا كان ثمة وسيلة ما، لتحمين حياتهم. كان معوذ الأب جوزيه بيدرو صمراً بل لم يكن لديه أي تأثير ولم يكن يعرف أيضاً ماذا يفعل لكسب ثقة هؤلاء اللصوص الصغار. لكنه كان يعلم أن حياتهم قادمة لأي رفاه، ولأي حنان: حياة جماعية وتتردد. وإذا كان الأب جوزيه ليس لديه سرير ولا طعام ولا ملابس يقدمها لهم، معد كان لديه على الأقل كلمات عطف، وبالتأكيد كثير من الحب في قلبه يعطيهم إياه وفي البدء، أخطأ الأب بيدرو في نقطة وهي اعطائهم، مقابل التخلي عن الحرية التي يتمتعون بها. وهم متروكون في الشارع، امكالية حياة أكثر راحة ورفاهاً. كان الأب حواره بيدرو يعلم جيداً أنه لا يستطيع توجيه هؤلاء الأولاد نحو دار الإصلاحية. فقد كان يعرف جيداً جداً فوائدها من الدار الإصلاحية، القوانين المكتوبة والأخرى التي يجري تطبيقها. وكان يعلم جيداً أنه لم يكن هناك أي امكان لولد دخل الإصلاحية لأن يصبح طبيباً وشعلاً. لكن الكاهن كان يعتمد على بعض صديقاته. وهن نسوة ثقيات، ملي مترنات، وكريجات العوس. كان في استطاعتهم كماله عدة أولاد من فرسان الرمال، في ربيتهم واعلمهم. لكن هذا الحل كان يعني أن يتخلى هؤلاء الصبيان عن كل ما شكل عصمة حياتهم. مغامرة الخرية في شوارع أكثر مدن العالم اسراراً وأجملها: في شوارع باهيا جميع القديسين ومنذ ان اقام الأب جوزيه بيدرو بيواسطة، الشارب اللطيف، علاقات مع فرسان الرمال، أحس بأنه لو عرض عليهم ذلك الاقتراح، فسوف يعقد كل الثقة التي وضعها فيه، وأنهم سيعيرون مقرهم. وأنه لن يراهم أبداً بعد ذلك الحين. والحقيقة، أنه لم تكن لديه هو أيضاً ثقة مطلقة في هذه العوالم المسماة المتبنيات اللواتي كن يقضين حياتهن مندسفن في الكنيسة واللواتي يقتنمن هرات ما بين العدايس لكي يحمضن في الحديث عن حياة الآخرين. وهو يذكر أنه في البدء حرج شاعرهن حين اقتربت منه، اثر انتهاه أول قداس اقامه في هذه الكنيسة، يجدهن عن الثقيات المترنات، كان واضحاً انهن يردن مساعدته في خلق ثياب خدمة القديس ورثت حوله صيحات تعجب حنون

- أنها المحرم الضئير. .. أنها الملك جبريل ..

واقربت منه عجزاً، نجمة حاداً، وشبكت يديها كما عد العادة وقالت:

- ناصغري يسوع المسيح المعبود

كان بيدرو ابن يصلين له، بل يعيدنه، فنار الأب جوزيه بيدرو. وفي الحقيقة،

كان يعلم أن أغلب انكسرة، لم يكسروا بوفصون هذه العناية بهم. بل كانوا يحصلون على هدايا كثيرة من الفرايح والديوك الغنبدية، والماديل المغلظة، بل وأحياناً ساعات ذهبية يتوارثها عمر الأحيال اولاد عائلته معها. لكن الأب جوزيه بيدرو كانت لديه فكرة أخرى عن مهمته، كان يرى أن الآخرين خطئون. واسؤل عليه غضب شديد وقال له

- يا سيداتي، أنيس لديكن شيء آخر تعلهه أنيس لديكن منزل تعمي به؟ انني لس يسوعكم المسيح المعبود. ولا الملك جبريل... معدن للعمل في منارلكس، أعدن الطعام، وخبطن.

كانت صفادع جرن الماء المقدس يظرن إليه، مذهولات، فكأنه كان المسيح الدحال شخصياً. واهي الكاهن كلامه قائلاً:

- يكن بعسكن في منارلكن، سوف تقدس سيدنا والإهنا بصورة أفضل من تشمكس هنا رائحة ثوننا. اذهبن... اذهبن ..

وفي حين كن يجوحن بوعومات، كان يردد قائلاً بمبراة أكثر من العضب.

- يا يسوعي المسيح المعبود اسم الآله عنناً...

دهت النسوة الثقيات في حط مستقيم إلى عند الأب كلويس، الذي كان يديناً، وأصلع، ودا مزاج مرح: كان هو معرف هاته السيدات وروين له وسط صيحات نوح واندعاش، ما حدث له. تأمل الأب كلوفيس الثقيات المعائر بعين حنون وفزاهن قائلاً.

- هذا الأمر سوف ينتهي الأب بيدرو جاء منذ فترة قريبة فقط، فيما بعد، سوف يرى أية سماء قديسات أنتن، فأنتن بنات الرب الحقيقيات سوف تمر الصعوبة.

اذهبن ورتلن «الابانا» ولا تنسن أن هذا اليوم هو يوم التبريك

استغرق الأب كلويس في الضحك بعد أن ذهبن. وهمن في دخيلته: هؤلاء الكهنة الحديثو العهد، الطارحن، يكدرون حياة الناس..

وفيما بعد، أخذت النسوة الثقيات يمشن مقربيات أكثر فأكثر من الأب جوزيه بيدرو. وفي الحقيقة. همن بل يصل مع أبداً إلى صلة حميمة تماماً إن هبته المهية، وطبته التي كانت تكسر للظفوف التي تكون فيها ضرورية، وبغضه للسداس الكهنية الصغيرة، كانت تدهفنهم إلى أن يجترمه أكثر مما يجيبهم. بيد أن اواصر الصداقة تعززت بيه وببعض النسوة، وهن بصورة عامة أرامل، أو زوجات لرجال أودباء. وكان سبب آخر يساعده بينه وبين الثقيات المنزلمات، وهو أنه كان تقضاً

للوافظ المبتسر . فهو لم ينحج أبداً في وصف الحجم بقوة الاقتناع التي كان يملكها الأب كلوبيس ، مثلاً كانت تلاوة الأب بيدرو فقيرة ، فاشقة في كثير من الأحيان . لكنه كان لديه الايمان لقد كان مؤمناً . ومن جهة أخرى ، كان من الصعب التأكيد بأن الأب كلوبيس يؤمن بالحجم على الاقل .

في البدء ، فكر الأب جوزيه بيدرو بتبليغ « فرسان الرمال » إلى النسوة التقيات . وكان يعتقد بذلك أنه ليس فقط سينفذ الأولاد من حياة بالسة ، بل أنه سوف يتخذ التقيات المنزلمات من حياتهن غير النجدية ، بصورة ضارة . كان في وسعه الحصول على أن يكرس امهتهن للأولاد نفس التقى الحار اللواتي يكرسنه لأنفسهن للكنائس ، وللكهنة ذوي الدانة . وكان الأب جوزيه بيدرو يجزر (أكثر مما كان يعلم) بأنهن إذا كن يفضين حيواتهن في أحداث نافعة في الكنائس ، أو في تظهير مساديل للأب كلوبيس . بذلك لأن هاته العواصم المنسات لم يكن لها ولد ، أو زوج يكرسن له وقتهن وحنانهن . إنه الآن سيأتين بأبناء . نقلت هذه الفكرة ترواد الأب جوزيه بيدرو زمناً طويلاً بل حدث أنه اصططحب اليهن ولداً كان قد فر من دار الاصلاحية ، وذلك قبل زمن طويل من تعرف الأب إلى « فرسان الرمال » ، حين كان يسمع القليل عنهم . وأدت التحرة إلى نتائج سيئة : لقد فر الغلام من منزل العائس المسة ، أخذاً معه عدة قطع من العصيات ، مفضلاً على الملابس الجميلة والغذاء المضمون . مع واجب تلاوة التسبيح بصوت عال ، وحضور مختلف القداس و صلوات التبريك الرومية - حرية الشارع ، حتى وهو يلبس الاسمال البالية ، وحتى دون أن يكون متأكداً من الحصول على عدا . وفيها بعد ، فهم الأب جوزيه بيدرو أن التجربة قد اخفقت بنظراً للعائس المسنة أكثر منها بنظراً الولد . ذلك ، طبعاً ، كما كان يرى الأب جوزيه بيدرو ، لأن في المستقبل تحويل ولد مشرد وسارق إلى تفلتف لكس من الممكن جداً تحويله إلى رجل شصيل ... وكان يأمل بأنه حين يستعرف إلى « فرسان الرمال » سيحقق اتفاقاً بين بعضهم والنسوة التقيات ، لمحاولة القيام بتجربة جديدة ، تكون هذه المرة موجهة جيداً . ولكن ما أن قدمه الغلام « الشارب اللطيف » إلى المجموعة ، وحين كسب شيئاً فشيئاً ثقة القسم الاكبر منهم ، رأى أن من غير المجدي كلياً أن يراوده هذا المشروع . لقد أدرك أن هذا المشروع عبثي ، لأن حب الحرية كان المشهور الاكثر تمجداً في قلوب « فرسان الرمال » ، وأنه ينبغي استعمال وسائل اخرى .

في الآونة الأولى ، كان الاولاد ينظرون إليه بمجد وريسة . ومراراً عديدة في الشارع ، كانوا يسمعون أن الخوري يأتي بالنحس وسوء الحظ ، وأن التعامل مع الكهنة

هو جيد فقط للنساء ، لكن الأب جوزيه بيدرو كان عاقلاً ، ويعرف كيف يعامل الأولاد . كان يعاملهم كرجال ، وكأصدقاء . وهكذا كسب ثقهم ، وأصبح صديق الجميع ، حتى أولئك الذين ، مثل بيدرو مالا ، « الاستاذ » ، لم يكونوا يحبون الصلاة . ولم يلاق صعوبة كبيرة إلا مع « ذي الرجل الرخوة » . وفي حين كان « الاستاذ » وبيدرو مالا ، « اللقط » لا يبدون اهتماماً بأقوال الكاهن (ومع ذلك ، كان « الاستاذ » يحبه كثيراً لأنه كان يحضر له كتباً) فإن « سكر الشعير » و « ذا الكوع الناشف » وجواو غراندي ، وعلى الاخص الأول ، كانوا يهتمون كثيراً بما كان يقوله ، فإن « ذا الرجل الرخوة » من حينه كان يبدي عداً عنيداً حاداً في البدء ، إلا أن الخوري جوزيه بيدرو انتهى به الأمر إلى كسب ثقة الجميع وهو قد اكتشف على الاقل ، في « سكر الشعير » دعوة ربابية ، واستعداداً ليكون اكثير كياً .

ولكن في فترة معد الظهر هذه ، نظرت العلمان بدون ارتياح كبير إلى عمي « الأب جوزيه بيدرو . اقترب من « سكر الشعير » وقبل بيده ، وكذلك فصل « ذو الكوع الناشف » وحياء الآخرين وأوضح الكاهن سبب مجيئه :

- لقد احضرت دعوة لكم جميعاً

أرهمفت الأذان للسمع ودمدم « ذو الرجل الرخوة » قائلاً :

- سوف يأخذ للتعقد أود تماماً أن ارى من الذي سوف يستحيب له ..

لكه لزم الصمت ، لأن بيدرو مالا كان ينظر اليه بعصب وابتسم الكاهن ابتسامة طيبة . وحلس على صندوق . ورأى جواو غراندي أن جبة الخوري كانت قدرة وعتيقة . وكانت مرقعة بمرقق كبيرة بالحيط الأسود وكانت واسعة جداً بالنسبة لسحافة الكاهن وذكر نكوعه بيدرو مالا الذي نظر هو أيضاً إلى الجبة . حيثذ قال بالا .

- ايها الشبان ، إن لدى الأب جوزيه بيدرو الذي هو صديقنا ما يقوله لكم ، عاش الأب جوزيه بيدرو !

كان جواو غراندي يعرف أن هذا كله ناتج عن الجبة المرقعة والكبيرة جداً بالنسبة لحرور الكاهن . وأحباب الآخرون به . مرحي ! . ابسم الكاهن ، مشيراً بيده ولم يكن يحاور غراندي يحول عينيه هن الجبة . وقد رأى أن بيدرو بالا كان زعياً حقاً ، يعرف كل شيء . . ويحسن أن يفعل كل شيء . ومن أجل بيدرو بالا ، كان جواو غراندي مستعداً لأن يقطع جسمه مرقاً ، مثل ذلك الرنيمي ايلاهوس من أجل باربوزا ، سيد القرصان ودمس الأب جوزيه بيدرو يده في جيب جسده وأخرج كتاب الصلوات الأسود . وفتحها ، وأخرج من داخله بعض بطاقات ذات العشرة آلاف ريبس كل منها :

- هذا، لأجل أن تدهوا جميعاً إلى مضار الخيول الخشبية الملونة، اليوم، في ساحة بيتنا جيب.
كان ينتظر أن تنهلل الروح أكثر، وأن يسود فرح هائل القاعة كلها. ذلك لأنه
على هذا النحو سوف يكون أكثر اقتناعاً بأنه عمل بمشية الله حين أخذ من الخمسة
كروبيروس التي اعطته اياه دوناً غيلهمين سلماً ثشراء شموع لذبح العذراء، حين
كروبيروس لاصطحاب فرسان الرمال إلى مضار الخيول الخشبية. ونظراً لأن
ووجههم لم ينتهج فجأة، أحس سالحية. والأوراق المألبة في يده. وهو ينظر إلى
لصبيان الصغار. وحك بيدرو بالا شعره (المستزل على أذنيه)، وأراد أن يتكلم، ولم
يستطع. فنظر حينئذ إلى الأستاذ. وكان هذا الذي أوضح:

- يا ابني، أنت رجل طيب. كان يريد أيضاً أن يقول إن الأب هو طيب مثل
جواو غراندي، لكنه حسب أنه ربما احس الكاهن بالاستياء لمقارنته بزعمي لكن ما
يحدث هو أن ذا الرجل الرخوة، وذا الكوع الناشف يعملان كلاهما في المضار
وكانوا مدعويين جميعاً - هنا هذا الأستاذ - برهة - من قبل صاحب المضار الذي هو
صديقهم، للكويك عاماً هذه الليلة ونحن لا ننسى لك دعوتك.
كان الأستاذ يتكلم برصامة متعباً كلماته. متقدماً أن اللحظة حساسة. حازراً
أشياء كثيرة. وكان بيدرو بالا يوافقه بايماءة من رأسه.

- سيكون ذلك مرة أخرى لكلك لي نغضب لأننا لم نقبل الدعوة من نغضب.
أليس كذلك؟

وراح ينظر إلى الكاهن الذي عاود وجهه العرج.

- كلا، لن أغضب. وسكون دعوتي لكم في مرة أخرى.

وبصر إلى الأولاد ناسياً

- بل سيكون الأمر أفضل هكذا لأن التقود ابني.

وصمب بعته امام ما كان سيعمل. واعتقد أنه ربما كان هذا عبرة من الله وتوبيهاً.
رأه. أي الكاهن قد ارتكب عملاً سيئاً. وكانت نظرتهم من العراية بحيث أن الأولاد
تقربوا منه خطوة.

كانا ينظرون إلى الكاهن دون أن يهيموا. وروى بيدرو نالاً ما من حاجبه كما
لو أن عليه حل مسانة. وحاول الأستاذ أن يتكلم. لكن جواو غراندي فهم كل
شيء، رغم أنه كان أقل ذكاء من الجميع

- هل كان هذا مال الكنيسة يا ابنت؟

وعض شفبه، غاضباً من نفسه

لفد فهم الباقون. واعتقد «سكر الشعر» أن هذه كانت خطيبة كبيرة، لكنه
احس بأن طيبة الأب تنتطقي الخفيفة. وحينئذ جاء ذو الرجل الرخوة، وهو يعرج
أكثر من العادة، كأنه كادم وهو يصارع ذاته، ووصل إلى قرب الكاهن، وكان يصرخ
تقريباً في البدء، مع أنه خفض صوته كثيراً إثر ذلك.

- نحن نستطع إعادة التقود إلى حيث كانت. لا عليك، فلا تهم.
وانتم الغلام.

إن انسامة «ذي الرجل الرخوة» والمدة التي كان الكاهن يقرأها في عيون الجميع
(اليست هذه دموعاً، تلك التي يراها في عيني غراندي)؟ قد اعادنا إليه الهدوء،
وصعاء النفس، والثقة سادته و بالهته. وأجاب بصوته الطبيعي:

- إن أرملة مستة، قد اعطتني خمسة كروبيروس ثشراء شموع وأخذت
خمس كروبيروساً منها لكي تزكواها خيول المضار الخشبية. وسبحكم الله ما اذا
كنت قد احسنت العمل والان سوف اشترى شموعاً بالمبلغ كله.

كان بيدرو بالا يحس بأن عليه ديباً يؤديه نحو الكاهن. كان يريد أن يعرف الأب
ان الجميع يتقومونه. وإذ لم ير أية وسيلة، غير هذه، فقد استعد للتخلي عن العمل الذي
كان ممكن أن يسبح خلال فترة بعد ظهر ذلك اليوم، ودعا الأب:

- سذهب إلى المضار لرؤية دي الكوع الناشف، وذي الرجل الرخوة،
الان في مرة بعد الظهر مهمل تريد أن تأتي معنا يا ابنت؟

واضح الأب حوزيه بيدرو، لأنه كان يعلم بأن هذا يشكل خطوة إلى الامام في
علاقته الخمسة مع فرسان الرمال. وهكذا ذهبت جماعة مع الكاهن إلى الساحة.
وامتاع العديدين عن الذهاب، من فيهم «القط» الذي ذهب لزيارة «دالغا» لكن
لتدبير ذهبوا إلى المضار. كانوا يبدون مثل فريق من الأولاد الصغار الطبيعيين العائدين
من درس فواعد الدرس. ولو كانت ثيابهم جيدة ونظيفة، لكان المرء يحسبهم لنامدة
مدرسة دجنية. لفرط الترتيب الذي كان يلف صفتهم.

في الساحة، دروا مع الكاهن يتعرجون على كل شيء. وأشاروا باعتزاز إلى «ذي
الكوع الناشف» الذي كان يحاكي اصوات الحيوانات، وإلى «ذي الرجل الرخوة»
الذي كان يدبر مضار الخيول الخشبية وحده. لأن تيوزنيو كان قد ذهب لاحياء
تسرد لى إحدى احداث. ولسوء الحظ أنه لم تكن الاضواء مشعلة في فترة بعد الظهر لم
يكن ذلك حسناً كما هي الحال في الليل حين تدور الاضواء تألقاتها المشعة المتعددة
الألوان! لكنهم كانوا محترين من «ذي الكوع الناشف»، الذي يحاكي اصوات

الحيوانات، و « ذي الرجل الرخوة » الذي كان يدير مضمار الخيول الخشبية، ويقوم
باصعاد الأولاد إلى صهوات الخيول، ثم ينزلهم عند انتهاء دورهم.

وقام « الاسناذ » بقلم صغير، وغطاء علية، يرسم « ذي الكوع الناشف » في بذلة
Fibustier قرصان. كانت لدى « الاسناذ » موهبة خاصة في الرسم، وأحياناً كان يكسب
نقوداً برسمه على الرصيف أشخاصاً يبرون، وفتيات صبايا أنشاء سرورهن مع
خاطبين.. وكان هؤلاء يتوقفون لحظة، ويمتحن النظر بالرسوم غير المحددة بعد،
ويقولون:

- هذا رسم مثابه جداً...

وكان « الاسناذ » يلتقط القروش ويستمر حينئذ في روتشة الرسم المخطط
بالطشور، ونوسعه، وتصوير المارة من الرجال والنساء المتدللات، إلى أن يطرده
الشرطي من الحادة. وأحياناً، كان المارة يتحمون قرب الرسام، متأملين في رسومه،
وكان بعضهم يقولون.

- هذا الولد ذو موهبة واعده وحسرة أن لا نتم الحكومة بهذه المواهب.

وكانوا يتحدثون عن حالات اولاد من الشارع، مدت لهم بعض العائلات بد
المساعدة. فأصبحوا شعراء كباراً، ومغنين، ورسامين

أهمي « الاسناذ » رسمه (التي ادراج فيه مضمار الخيول الخشبية، ونهوزيه فرانس
السكران حتى الاطفال) وأعطاهم للكاكاه. وكانوا قد شكلوا جيباً قريباً كثيراً،
وراحوا يصورون إلى الرسم الذي كان الكاهن يمتدحه، حين سمعوا.

- ولكن هذا هو الأب جوزيه بيدرو ..

وسددت العانس المسة نفاقتها المفردة نحو الجماعة مثل سلاح حربي وليث الأب
جوزيه بيدرو شه مرتك، وكان الأولاد ينظرون بفضول إلى عظام رقبة المعجور
وصدرها، حيث كانت حلبة تحية لتلاً في ضوء الشمس. وكانت لحظة لث الجميع
فيها صمتين. إلى أن استعاد الأب جوزيه بيدرو صحاخه، وقال.

- مساء الخير، أيتها السيدة مرعيت.

لكل الازمة مرعيت سانسوس سددت نظارتها الذهبية المفردة، مجدداً.

- أليست تتجمل لكونك في هذا المكان، يا انت؟ أليست كاهناً للرب؟ رجل في

مثل مسؤوليتك وسط هؤلاء الاواباش

- إيهم أطفال يا سيدتي ..

جدخته المعجور نظرة مستعلية. ورسم فيها تعبير ازدراء. وأردف الأب قائلاً.

- لقد قال المسيح « دعر الاطفال بأنون إلى ... »

- أطفال .. أطفال .. وبصقت المعجور

- لقد قال الرب شقي هو الذي يبسي، إلى طفل.

ودفع الأب جوزيه بيدرو صوته فوق ازدراء المعجور. وقالت هذه.

هؤلاء، ليسوا أطفالاً، إنهم لصوص أندال، لصوص. هؤلاء، ليسوا أطفالاً بل

يمكس أن يكونوا من أفراد « فرسان الرمال » .. ورددت قولها هذا بازدراء

راح الأولاد ينظرون إليها في فصول. كان « ذو الرجل الرخوة » العائد من

المضمار، نظراً لأن نهوزيه فرانس كان قد عاد، ينظر إلى المعجور بغضب. وخطا

بيدرو بالا خطوة إلى الأمام، وأراد أن يوضح...

- لقد أراد الأب فقط أن يسا...

- لا تقرب بي، لا تقرب مني، يا قدرة! ولولا الأب، لاستدعيت شرطياً.

وأطلق بيدرو بالا ضحكة فاصحة، حين فكر بأنه لولا وجود الخوري، لكاس

المعجور قد فعدت الحلبة الذهبية وحتى النظارة بالسيدات. وابتعدت المعجور ببسة

استعلاء كبير، بعد أن قالت للأب.

- هل هذا النحو، لن نذهب بعيداً. يا أبت، انبه أكثر لعلاقائك.

كان بيدرو بالا بضحك بصورة أشد، كل مرة، والكاهن هو أيضاً استعرق في

الضحك، وإن كان قد أحس بالألم من أجل المعجور. لعدم تفهمها لكس مضمار

الخيول الخشبية كان يدور، بمحلاً بأولاد غلامس حيدة، وشيئاً شيئاً استدارت عيون

« فرسان الرمال » نحو المضمار، بأملاط مرغبة منمطاء الخيول الخشبية، والدوران مع الأصواء

وفكر الأب: إنهم أطفال، نعم.

في يد « الليلة » هطل عارض من النظر لكن الغيوم ثلاثت سرعة سن السماء،

وبلألت الحوم، وتأنق اندر. وبعد الفجر، وصل « فرسان الرمال ». وسير « ذو

الرجل الرخوة » المحرك، ونوا أنهم لا يشهون الأولاد الآخرين، ونوا أنهم ليس

نعم أب ولا أم ولا سول وأنهم يعيشون من السرقة، كرجال، وأن المدينة تحشى بأسمهم

كلصوص ونوا أقوال المعجور دات النظارة المفردة سوا كل شيء، وأصبحوا

مشاهير لجميع الأولاد، متميزين حيول المضمار الخشبية. دائرين مع الأصواء. كانت

الحوم تتلألاً، ويتأنق القمر الندر. ولكن فوق كل شيء كانت تتلألاً في ليل ماهيا،

هذا، الأصواء الزرقاء والخضراء، والحمراء، مضمار الخيول الخشبية الياباني

* * *

عمال الموانيء

- ألا ترعب في أن تكون بحاراً؟

- كما ترى ، إني مرتاح هنا . كلا ، لا أريد أن أبحر

- أما أنا ، فأريد ركوب البحر . جيل أن يتسلق المرء صابراً ، والمعاصمة ، أليست حيلة؟ ألا تذكر تلك العصة التي قرأها لنا الأستاذ ، والتي فيها عاصمة ١٢

- أجل ، إنها قصة جيله!

كان بيدرو بالا يتذكر القصة ، و « الشارب اللطيف » كان يرى من الحياقة معادرة ناهيا . حيث سيكون من السهل جداً ، حين يكثر ، أن يعيش حياة سهلة للفلاح قاطع حريق (مالاندرو) ، خبجته في سظاله ، وبقترانه تحت ذراعه ، وقناة سمرا ، يمددها على الرمال . كانت هذه هي الحياة التي تشناها حين يبلغ سن الرجال .

وصلا الى بوانه العمر رقم ٧ . كان خان دادام . وهو عامل مينا ، زنجي ، متين النسبة . ومصاص قديم للأصرامات ، مهروب الخابث وخبوب من جميع الحرارة ، كان حاليما على صدوق . كان يدخن العلبون وعصلاته بارزة تحت القميص . وحين رأى التلاميذ . حياهما

- انصروا ! إنه الصديق « الشارب اللطيف » ، والزعيم بيدرو بالا

كان يسمى سدرو ، الزعيم بيدرو « وكان يحب الكلام معه . وأوسع مكاناً على صدره سدرو بالا . وفرقص ، الشارب اللطيف ، تجاهه . وفي زاوية كانت زجيجة مسة سع ثمار ترنتال . ومرسى حور الهند ، وهي نلس نسورة هندية . وقبصاً صمغاً كسف عن نهدما الصديق زعم سها . وكان « الشارب اللطيف » يتعخص شديدي الرجحية . في حين كان يفسر ترنقالة المعطها من الطوق :

- ما زالت لديك ، معدمة مسرح ، مريجة ، أليس كذلك يا خالة ؟

انتمب لريجة قائله .

- أولاد اليوم هؤلاء ، لم يعوروا بمحرمون الأشخاص الأكبر سنأ منهم ، أيها الرميل . حان دادام . « أين رأينا قبل اليوم علاماً يهده الس ، يتكلم عن التهديين مع عجور . ميسسه مثل ؟

- لا تتظاهري بالتقاعد يا خالة . انك ما رلت تعملينها بصورة جيدة .

صحكت الرجحة من صميم قلبها ، وقالت :

- لقد أفغلت الدكان ، أيها « الشارب اللطيف » . لقد تجاوزت تلك السن أسأل عمداً . وأشار الى جان دادام . لقد رأيتك حين كان ولدأ مثلك ؛ لقد قاد الأضراب الأول . هنا ، في حوص المياة . في ذلك الزمن لم يكن أحد . يا للشيطان ، يعرف ماذا

ألقى بيدرو بالا قطعة نقود من أربعمئة ربيس نحو جدار الجمبرك ، فسقطت قرب قطعة « الشارب اللطيف » . وأثر ذلك ، ألقى « سكر الشعير » قطمته ، فاستقرت القطعة قرب قنصتي بيدرو بالا و « الشارب اللطيف » . وكان هذا مرفصاً ، يترقب . ونزوع السبجارة من فمه

- هذا ما يروق لي . البده بصورة سيئة .

وتابعوا اللعبة . لكن « الشارب اللطيف » ، و « سكر الشعير » حمسراً قطعتي الأربعمئة « ربيس » اللذين وضعها بيدرو بالا في جبه قائلأ :

- أنا شخص محفوظ كما يدو .

أمامهم كانت نرسوروارق الشحن . وكان رجال ونساء يفرجون من السوق كانوا مسطرون لفترة بعد الظهر هذه زورق . وحبيب الله الطيب . وكان المصارع - الزاقص ، ومهسه صياد مسك يعمل في أحد المصائد . وتابعوا لعبتهم بالثقتود حتى « نطف » بيدرو بالا التلاعب الأخرين من التقرود . كانت البداية على وجهه لتتعم . كان يجب أن يكسب على هذا النحو في لعبة نرزية ، لا سيما حين يكون شركاء اللعب بقوة « سكر الشعير » (الذي كان زمناً طويلاً يطل الجماعة ، وبقوة « الشارب اللطيف » وحين انتهوا ، قلب « لشارب اللطيف » جيونه .

- سوف نقرصي ، ولو قرشاً واحد . إذ لم يبق لدي فلس واحد ...

إثر ذلك ، نطف نحو البحر ، والقوارب لي الرمي :

- إن « حبيب الله الطيب » سوف يبحر في فترة بعد الظهر . هل ستدهت نحو

حوص المياة ؟

أجاب « سكر الشعير » بأنه سينظر « حبيب الله الطيب » لكن بيدرو بالا ذهب مع « الشارب اللطيف » نحو حوص المياة . واختاراً شوارع المياة ، وغرسنا أقدامها في الرمل . وكانت سبعة سحر من العنبر الخامس ، وسبل من الناس يروحون ويحيون . وسأل بيدرو بالا « الشارب اللطيف » :

يعني الاصراب هل تذكر ايها الصديق؟

هو جان دادام رأيت، علامة الموافقة، وأعصم عينيه متذكراً الأيام البعيدة. أيام الاصراب الأول، الذي فاداه على أرضة الميناء. كان هو من اقدم عمال المرفأ، رغم أنه لم يبد بعد طاعناً في الس

وقال بيدرو نالا

- الرعي اذا انص شعره، يعيش ثلاثين عاماً مصروبة بثلاثة⁽¹⁵⁾.

وكشفت الرغبة عن حررتها الصوفية البيضاء، وذلك بعد أن سحقت عنها المدبيل الذي كان يحيط بشعرها، ومارحها «الشارب اللطيف» قائلاً:

- هكذا تضعين هذا المدبيل، أه ابنتها الزوجية الملائى بالتصنع

وسألتها جان دادام.

- هل تذكرين ريمون، ابنتها الام لوبيزا؟

- «الاشقر» الذي قتل في الاصراب؟ وكيف لا؟ أجل، ابني اذكر! كان احد الذين يأتون كل يوم بعد الظهور، للتحادث قليلاً معي كان يجب المراح..

- لقد فتلوه هنا بالذات، في ذلك اليوم حين سحقت الخيالة العمال

ونظر إلى بيدرو نالا، وسأله.

- ألم تسمع الحديث عنه أبدأ؟ أيها الرعي؟

- كلا

- كنت أنت حينئذ في الرابعة من العمر. بعد ذلك، قصبت انت عاماً في منزل

تحصت بعد أحر إلى أن هربت، وإثر ذلك، لم تسمع بأسائك إلا حين أصبحت زوجياً، لعرسان الرماح.. لكسا، كما تعلم أنك سوف تنصن من تدبير شؤونك بسلكك كم عمرك الآن؟

أحد بيدرو يقوم بحسابات، وقاطعه جان دادام.

- إنك في الخامسة عشرة، أليس كذلك يا أماء؟

أحابت الزوجية نالاجاج، وتبع جان دادام كلامه:

- اموم الذي نشاء، لك مكائت هنا، على أرضة الميناء، هنا مكان للعمل،

محمور لك

(15) ميل شعبي براتيل

- ملاحظة من المترجم -

- لماذا؟ هكذا سأل «الشارب اللطيف»، الذي اقلقته نظرة بيدرو المذهولة:

- لأن ريمون هو اموم، ولأنه مات هنا قتلأ، محاصلاً من أحلكا، وفي سبيل حقنا نحن لقد كان رجلاً وأكثر كان بساوي عشرة رجال من أولئك الذين براهم اليوم هنا

- أمو ابي؟ هكذا سأل بيدرو نالا، الذي لم يسمع عن هذه القصص، سوى

اشاعاب عامصة

- عم، هو اموم كان يلقب بـ «الاشقر»، وحين اندلع الاصراب، كان يلقي خطفا علينا، بحيث لا يمكن الاعتماد أبداً أنه عامل ميناء، لقد أصيب برصاصة ولكن هناك مكان لك على أرضة الميناء.

كان يدرو نالا سمح الاسفلت بمجساء، وتطلع إلى جان دادام

- لماذا لم تحدثني أبداً عن هذا الامر؟

- لقد كنت صغيراً بحيث لا يمكن أن أسمعهم. والآن لقد أصبحت أنت رجلاً..

وصحك جان دادام بارتياح

فصحت بيدرو نالا هو أيضاً لقد احس بالسعادة المعرفة قصة أبيه، لأن هذا كان رجلاً شجاعاً. لكن العلام بيدرو سأل في تمهل.

- وأمي، هل عرفتها؟

فكر جان دادام، برهة، ثم قال

- كلا، لست ادري حين تعرفت إلى «الاشقر» لم يكن لديه زوجة لكنك

كنت تعيش معه.

- أما أنا فقد عرفتها.

كاتب الرجبية هي التي تتكلم، وقالت. لقد كانت امرأة عجيبة جداً (شقيقة حلوة!) وراحت قصة نال والدك قد اختلطها، وأنها كانت من أسرة غنية من الأعالى، هناك. وأشارت إلى المدينة العاليه. وقد ماتت وكننت أنت لم تتجاوز الشهر السادس من عمرك. في ذلك الحين، كان ريمون يعمل في معمل السحائر، في ايتاباجيب، بعد ذلك، جاء، أنت أرضة الميناء.

وردد جان دادام، مرة أخرى

- حين تريد...

هو بيدرو نالا رأسه نالاجاج، ثم سأل

- كان ذلك عملية هائلة، الاصراب، أليس كذلك؟

وراحوا يصغون إلى جان دادام وهو يتكلم عن الأضراب. وحين انتهى، قال بيدرو بالاً:

- أنا، أحب قيادة أضراب. سيكون هذا شيئاً ممتعاً.

ودخلت ناخرة. فتهض جان دادام واقفاً:

- الآن سقوم بشحن هذه السفينة الهولندية.

كانت السفينة تصفر أثناء مناورات الرسو. ومن جميع الزوايا كان يصل عمال موانئ، ينجهون نحو العنبر الكبر. ونظر الهم بيدرو بالاً بمتان. كان أبوه واحداً منهم، وقد مات دفاعاً عنهم. كان مير، هناك، رجال بيض، وخلصيون، وزنوج، وزنوج كثيرين. انهم سيملاؤن خزانات السفينة بأكياس الكاكاو، وشحنات من النعج، والسكر، ومن جميع منتجات ولاية باهيا، هذه المنتجات التي سترحل إلى أوطان نائية، حيث سيقوم رجال منظم، وربما طوال القامات، وشقر، بتفريغ السفينة، تاركين خزاناتها فارغة. لقد كان أبوه واحداً منهم. الآن، فقط، أصبح يعرف ذلك. ولأجلهم، ألقى خطباً، واقفاً فوق صندوق، لقد قاتل، وأصيب برصاصة حين هاجم الحدود الحياطة العمال المضربين. وربما كان دم أبيه قد سال هنا بالذات، حيث يجلس هو. بيدرو مالا. راح الغلام يمدق في الارض المكسوة الآن بالاسمنت. تحت هذا الاسمنت لا بد أن يكون الدم الذي سال من جسد أبيه. لأجل هذا، فإن مكانه ما زال محفوظاً على أرضصة الميناء، يشغله يوم يشاء، بين هؤلاء الرجال، المكان الذي كان لأبيه. أياها حياة شاققة، هذه الحياة مع شحنة تئين كيلوغراماً على الكتفين. لكنه على هذا النحو، سيكون بإمكانه أن يقود أضراباً. مثل أضراب أبيه وجان دادام، وأن يقابل الشرطة، وأن يموت من أجل حقوق الآخرين. وهكذا سينتقم لأبيه، ويساعد هؤلاء الرجال في النضال من أجل حقوقهم (كان بيدرو بالاً لديه فكرة غامضة عن معنى هذا الامر) كان ينصرو نفسه في أضراب، يقاثل. وكانت عيناه تبتسمان كما تشتم نعتاه

وقاطع جلمه. «الشارب اللطيف» الذي كان يمتص الرنقالة الثالثة:

- هل تفكر في موت المحلة التي غدتك، أياها الاخ العجوز؟

نظر الهم الرجبة المحوز إلى بيدرو بالاً بمتان.

- هذا رأس أبيه. إلا أن شعره يعمد، مثل شعر أمه، ولولا هذه الدبة على وجهه،

لما احتسنا إلى صورة لرؤية ريمون، أبيه، أنه رحل وسع!

صحك «الشارب اللطيف» بين استانه. وسأل كيم تجوب عليه ثمناً للرنقال، ودفع

مئتي ريبس. ثم نظر مجدداً إلى تديي الرجبة وسأل:

- أليست لك اسة، يا خالتي؟

- ولماذا تريد أن تعرف. أياها البانس؟

صحك «الشارب اللطيف»:

- كان ماستطاعني أن اتدبر امرى معها...

وقدفته الرجبة بفردة حدائها العتيق. وتجب «الشارب اللطيف، الضربة.

- لو كان في بنت، لما كانت لمنفارك، أياها النافه!

ثم نذكرت:

- أئن نذهب اليوم إلى العائتوا^(١٦)؟ سيكون احتفال عظيم. انه عبد أومولو.

- هل سيكون هناك دعام كثير؟ وشراب، الألو،^(١٧)؟

- سيكون منها الكثير

وتأملت في بيدرو مالا، ثم سألته:

- لماذا لا تذهب انت أيضاً، أياها الابيض؟ إن أومولو ليس فقط قديساً للزوج.

إنه قديس جميع الفقراء.

مد «الشارب اللطيف» يده بإشارة تجبة، حين تحدثت الرجبة عن أومولو، الامة

الجدري كان المساء يهبط. واشترى رجل مريى جزر الهند. وأضاءت الانوار نعتة،

وجهت الرجبة. وساعدها «الشارب اللطيف» على وضع طبقها على رأسها. وفي

البعيد. ظهر «مكر الشمبر» برفقة «حبيب الله الطيب». ونظر بيدرو بالاً مرة أخرى

إلى الرجال الذين كانوا، على أرضصة الميناء، يشحنون البالات على السفينة الهولندية.

وعلى ظهور الزنوح والخلاصيين العريضة كانت تتلألأ قطرات العرق وكانت الرقاب

المستفضة (تشديد الضاد وفتحها) تحضي مجنبة تحت الشحنات. وبكرت الروافع

تندور بمدنة صحة شديدة. أن يكون يوماً في أضراب مثل أبيه النضال والقتال من

أحل الحق. في أحد الأيام، عند باب الميناء، على الارصفة، سوف يستطيع رجل

مثل جان دادام أن يروي قصته لأولاد آخرين. كما يروي الآن قصة أبيه. كانت عيناه

(١٦) العائتوا: أحد احياء باهيا.

- ملاحظة من المترجم -

(١٧) ألو Aha، مشروب باهياي، يصنع من الرجميل. وضعه من احتفام الزوج.

- ملاحظة من المترجم -

بيدرو بالا تلمعان بضوء قوي في الليل الذي ساد منذ قليل.

ساعداً و حبيب الله الطيب و في تفريخ صيدة السمك، التي كانت جيدة. وقد ساعده يانجا، واشترى صيدة الاسماك كلها رجل صاحب مسكة في السوق. اشر ذلك، ذهبوا لتناول الطعام في رستوران قريب. وذهب و سكر الشعر، إلى الأب جوريه بيدرو الذي كان يعلمه القراءة والكتابة. وقيل ذلك، مر الغلام بالمستودع، ليأخذ منه علبة اقلام كان قد نشلها في الصباح، من إحدى المكتبات. واتجه بيدرو بالا، و «الشارب اللطيف»، و «حبيب الله الطيب»، نحو «كاسندوليه»^(١٨) فسي «عائنا»، (وهذا الأخير كان أحياناً^(١٩)) حيث ظهرت الالة «أومولو» شياها الطفوسية الحمراء وأعلنت لأولادها الاعزاء الصغار الفقراء، أن البؤس سينتهي عما قريب، وأنها سوف تنشر الجدري بين الاغنياء، وأن الفقراء سيألون العذاء الجيد، وسيكونون سعداء. كانت الانباكات^(٢٠) تعرف في ليلة «أومولو». وقد اعلنت هذه أن يوم انتقام الفقراء.. يأتي. كانت الزيجات برفض، والرجال مبتهجين. أصبح يوم الانتقام قريباً.

راح بيدرو سالا يسير عبر شوارع المدينة بمجرده، إذ أن «الشارب اللطيف» و «حبيب الله الطيب» قد ذهبا للرقص في حفلة راقصة للزئوج الفقراء. ونزل بيدرو في الطرقات المتحدرة المؤدية إلى المدينة السفلى. كان يسير ببطء، وكأنه يحمل ثقلاً في داخله، كان يمضي وكأنه منح داخل ذاته كان يفكر في حديث بعد الظهر هذا، مع جان دادام، هذا الحديث الذي ابهجه لأنه أصبح يعرف بعد الآن أن أباه كان من شحمان المرفأ، رجلاً ترك قسنته. لكن جان دادام تحدث أيضاً عن حقوق عمال الميناء. ولم يبقَ أبداً ليبدو بالا أن سمع قطلاً الحديث من هذه الحقوق، ومع ذلك فقد مات والده من أكلها. وبعد ذلك، في احتفال مأكوميا في حي غانثوا. قالت الالهة أومولو، اللابسه زينتها الحمراء إن يوم انتقام الفقراء أصبح قريباً. كل هذا كان يرهق قلب بيدرو بالا. كما كانت هذه الاحمال التي يزن كل منها مثني كيلوغراماً، ترهق صدر حاتي اليكسا.

(١٨) كادوليفيا، ها، معد دبي لدانة الروح الوشني.

- ملاحظة من المترجم -

(١٩) أوعان Open. عصر تابع لا حدى كئانس ناميا الفينيشية (شه الزئبة Fenhness).

(٢٠) انباكات، حج انباك Atabaque، وهو آلة موسيقية يستعملها الروح أثناء احتفالاتهم الدينية.

- ملاحظة من المترجم -

حين وصل إلى أسفل المنحدر، اتجه نحو الرمال محسباً بالرغبة بالذهاب إلى المستودع وليرى إذا كان سينام. وسبح عند مروره كلب، طظناً أنه سينازعه على العظمة التي كان الكلب يقضها. وفي آخر الطريق، لمع بيدرو بالا بشعاً غامضاً يتحرك. كان كأنه امرأة تسارع الخطى وحرك جسمه، حسم الغلام الفتي كما يتحرك حيوان فتي لرأى انثى، وبتخطوات سريعة. اقترب من المرأة التي كانت الآن تدخل إلى ناحية الرمال. وأز الرمل تحت قدميه، ولاحت المرأة أن هناك من ينهبها. وكان بيدرو بالا يستطيع أن يراها جيداً حين كانت تمر تحت ضوء الفوانيس. كانت زعيمة صغيرة فنية تماماً، في حواشي الخامسة عشرة من عمرها، ربما في مثل سنه، لكن نهديها كانا يتنجسان حادين، وألبينها ترقصان تحت الثوب، ذلك لأن الرغبات حتى حين يسرن بتخطوات طبيعية، يبدو أنهن يرقصن. وتنامت الرغبة لدى بيدرو بالا: رغبة تضاف إلى امينة يحس بها لحنن الفلنق الذي ينتقل على صدره. ولدى تفكيره بألثني الزعيمة الصغيرة الرئائنين، لم يعد يفكر في موت ابيه المدافع عن حقوق العمال المضربين، ولا في الالهة اومولو الداعية إلى الانتقام في احتفال العبيد والناس الفقراء. كان يفكر في الفاء الزعيمة الصغيرة على الرمل الناعم، ومداعبة مهديها الصلصين (ربما كانا نهدين بكرين، وهما على كل حال نديان بنت صغيرة) وامتلاك جدها الدافئ، جسد الرغبة.

وسارع في خطاه، لأن الرغبة الصغيرة كانت تتبعد عن الطريق التي تختار الرمال، للدخول في هذه الرمال، مبتعدة، أي الفئاة، من مراكز الاضاعة. ولكن حين لاحظت أن بيدرو بالا يصيح في كل مره اقرب اليها، انطلقت إلى الامام، شبه راكضة وبهم بيدرو أنها داهة نحو احدى هذه الطرق القائمة وراء المستودع، الصائتة بين الجبل والبحر، وأنها، إذا كانت تختار ناحية الرمال، فلذلك لتقتصر الطريق، والغراز منه بسهولة أكثر. كان الصمت يسود المرفأ كله، وأزيز الرمل وحده تحت الخطى كان يجعل قلب الرغبة الصغيرة يرتعش من الرعب، وقلب بيدرو بالا ينضض لشدة الشهوة. لکه، هد كل خطوة، كان يغدو اقرب اليها، وبعد عشر خطوات، سوف يصل اليها. وكان عليها أن تسير كثيراً قبل أن تصل إلى المستودعات القائمة وراء الرمال والطرقات المتاخمة لها. كان بيدرو ينتم، سارراً على اسنائه، مثل حيوان مغمترس يطارد في الصحراء حيواناً آخر يريد به رغبة له

وحيين كاد يرفع يده ليلمس كنفها وليدير وجهها نحوه، راحت الرغبة الصغيرة ترقص. فعدا بيدرو بالا في الرها، وأدركها بعد قليل. لکه كان يطلق بسرعة كسرة بحيث أنه اعطدم بها، وتدحرج الانسان على الرمل. وحض بيدرو سوسة،

صاحكاً ، وأصبح قربها ، وهي تستعد للنهوض .

- لا داعي لوقوفك ، يا جميلة ، وصمكت جيد هكذا .

- ماذا تريد مني ؟

- لا تتعجرفي ، أيها السمراء . سوف نتحدث قليلاً

أسنك بذراعها ، وقلبتها ثانية على الرمل واحتاجها الخوف ممدداً ، خوف مجنون .
كأنت قادمة من بيت جدتها ، وعائدة إلى بيتها ، حيث تنتظرها أم وأخوات فلماذا
تأخرت حتى الليل ، ولماذا حازقت بالسير على رمال المرمأ ؟ إنها لم تكن تعلم أن رمال
المناء هي سرير الحب لجميع اللصوص ، وجميع البحارة ، وجميع فرسان الرمال ، وجميع
الذين لا يستطيعون أن يصلوا على امرأة في ظروف طبيعية ، والذين يتعطشون إلى
حسد في مدينة ماها المقدسة . لم تكن تعرف شيئاً من هذا ، كانت بالكاد في الخامسة
عشرة من العمر . وكانت قد بلغت مبلغ النساء منذ زمن وجيز ويبدو بالآ كإن هو
أبصاً بالخامسة عشرة ، ولكن منذ زس طويل أصبح يعرف ليس فقط الرمال
وأسراها ، بل أيضاً جميع أسرار الحب ، وذلك لأنه إذا كان الرجال يعرفون هذه
الاسرار قل أن تعرفها النساء ، فإن فرسان الرمال كانوا يعرفونها قبل أي رجل آخر .
كان يبدو نالا يريد الفتاة لأنه . منذ زمن طويل ، كان يحس برغبات الرجل ، وكان
يعرف مداخلات الحب . وهي لم تكن تريد ذلك لأنها أصبحت امرأة منذ رسن قليل ،
وهي سعي أن تكسر حسدها لخلاصي يتمكن من الحصول على جيبها . ولم تكن تريد
سلم نفسها هكذا لأول عابر طريق لتلقي به على الرمال . وظلت هنا وعيناها منطقتان
من الخوف . وأمر يبدو نالا يده على شعر الزنجية الصوفي .

- أنت « شققة رائعة » يا سمراء . سوف نصنع نحن الاثنين ولداً صغيراً جليلاً .

وصارعت للابتعاد عنه

- دعني ، دعني أيها البائس .

وراحت تنظر حولها لترى إذا كان هناك شخص نستنجده ، ونستطيع أن نطلب
غوته ، شخص يساعدها للاحتفاظ بيده البكارة التي قيل لها إنها ثمينة . ولكن ، في
الليل ، على رمال ساحل ماها ، لا يرى شيء ، باستثناء الشباح ، ولا نسمع سوى نهدات
الحب ، ونساقط أجساد منعاقفة على الرمل .

أخذ يبدو نالا يداعب ثدييها ، وكانت هي ، من اعماق الرعب ، تحس بنشوء خيط
من الرغبة مثل خيط ماء يجري عبر الجبال ، ويمضي متزاداً ، شيئاً فشيئاً إلى أن يتحول
إلى هجر قري . وهذه الرغبة زادت من رعبها . فإذا لم تتصلب ضد الرغبة ، واستسلمت

للامتلاك ، حينئذ سوف نفقد كل شيء . وسنترك على الرمل بقعة من الدم سيضحك
منها حالو الميناء في صباح اليوم التالي . إن وضوح ضعفها منحها تجدد وقوة ، وقدرات
جديدة . خفصت رأسها ، وعضت يد بيدرو الذي كان يمسك يديها . أطلق بيدرو
صرخة ، وسحب يده ، ونهضت هي وراحت تركض لكنه ادركها ، والآن أصبحت
رغبتة ممزوجة بالقمص .

- سوف نسقي من قصة هذا الشئاء الذي لا يبلل وحاول أن يبطحها .

- دعني أذهب ، يا شقي الحظ . انت تريد أن نتحدث لي شقاء . بالنس يا ابن امك

الجدير دعني اذهب ، فأنا لا علاقة لي بك

كان يبدو لا يجيب . كان يعرف أخريات يتظاهرن بالشرف ، - بصورة عامة
لأنهن كان هن عشاق ينتظرون ولم يفترض ، لحظة واحدة أن الزنجية الصعيرة كانت
عذراء . لكنها كانت تقاوم ، وتنقله بالشئاء ، ونعصه ، وتضرب بيديها الضعيفتين
صدر بيدرو بالا .

- ولكن ماذا نظن ، أيها الزنجية ؟ هل تعتقدن أنني سأدعك تعري دون أن
تسلمي ؟ لا نعمادي . إن رجلك لن يعرف أي شيء . ولا أحد يعرف أي شيء .

وسترين ماذا يعني عناق رجل حقيقي ...

أخذ الآن يحاول مداعبتها . كان يريد أن يسيطر على عضبها ، ويعملها تحس
بالرغبة ، كانت يدها تنزلقان على جسدها ، ومددها بالقوة . والآن أخذت تردد مثل
لازمة :

- دعني أيها البائس ، دعني .

وشمر نورتها النائة ، نورة الهدية ، وظهرت ساقا الرغبة الصليبان . لكن
احداها كانت على الأخرى ، وحاول يبدو نالا أن يبعد بينها . وراحت الزنجية
لصعيرة تقاوم من حديد ، ولكن نظراً لأن العلام كان يداعبها ، ولأنها كانت تحس
صعود الرغبة العارم ، كعت عن شتمه ، لكي توصل إليه برجاء قلق .

- دعني . انني عذراء . كس طيباً ولا تملكني . سوف تحب امرأة سواي . أنا بكر ،

وسوف تؤلمي

نظر إليها ، كانت تبكي من الخوف ، وكذلك لأن ارادتها كانت تضعف ،
وانصبحت حلماً تديبها .

- أنت عذراء ؟ هل هذا صحيح ؟

- اقسم على ذلك بالله ، وبالعداء مريم ، وأحدت تقل اصابعها الموضوعة بشكل صلب .

تردد يدرو بالا

هدا الرعية الصعيرة المنتصان، وساقاها الصلطان، وحصلة العرج.

- هل نعوّل الصحيح؟

- الصحيح. أنا اقم على ذلك دعني أذهب أمني ننظرني.

كانت تبكي. وبيدرو يحس بالألم لكن الرعية كانت قد استولت عليه وجسند

اقترح هامساً في ادن الرعية (وكان لسانه يداعها):

- فقط من الخلف.

- لا، لا

- ستقتلن عدراء تماماً. لهم بسيط.

- لا، لا. هذا يسبب الألم.

لكنه كان يلاطمها، وارتعش جسدها كله برعشة رغبة حينئذ بدأت نهمهم أنها اذا لم ترضه كما طلب، فستعقد نكارتها. وحين وعدّها، كان لسانه يهيجها في اذنها:

- اذا احدث ذلك لك الماء، فسوف انسحب...

واقفت.

- اتسم بأن ذلك لن يكون من الامام؟

- اقم.

ولكن بعد أن قضى وظره منها أول مرة (وقد صاحت، وعضت يديها) وإذ رأى أن الرعما ما زالت مستولّة عليها، حاول أن يقض نكارتها. لكنها احسّت سدلك فوثبت مثل مجنونة

- ألم تكف أنها البائس بما فعلت معي. هل تريد إنزال مصيبة بي؟

وراحت تبكي بصوت عال، ودفعت ذراعيها، حتى اشبهت مجنونة، كانت صبحانها، ودموعها، وشائتها صد زهم، وفرسان الرمال، تشكل دفاها الوحيد.

ولكن الثالثة لبيدرو، كان أكبر دواعي اللوعة هو هاتان العينان المغممتان بالرعب. عينا حيوان أضعف، ليست لديه قوة للدفاع عن نفسه. ونظراً لأن الشطر الاساسي من

شهوته قد أرضي. وطرّاً لأن قلق بداية الليلة هذه قد استولى عليه من جديد، فقد قال لها:

- اذا تركتك، هل تعودين غداً؟

- سأعود، نعم.

- لن أفعل لك إلا ما فعلته اليوم. وسأتركك عدراء.

هزت رأسها بالايجاب. كانت عينها عينا مجنونة وفي هذه اللحظة لم تكن تحس الا

بالألم، وبالرعب، وبرغبة في الفرار. والآن، حين لم تعد يدها، ولا شفتها، ولا قضيب

بيدرو تلامس جسدها، فقد انطفأت وغبتها، ولم تعد تفكر إلا بجارية بكسارتها.

وتتمت الصدء، حين قال لها:

- اذن، تستطيعين الذهاب. ولكن اذا لم تعودني في الغد... حين سأقبض عليك

سرين بأي حبل تربط العنزة..

أخذت تسير، دون أن تحجب بشيء. لكن العلام لحق بها.

- سأراقبك، لكي لا يعترض سبيلك لص ما...

سارا معاً، وأخذت تبكي. كان يريد أن يمسك بيدها، لكنها امتنعت، وابتعدت

عنه. حاول مجدداً ومحدداً صحبت يدها. حينئذ صاح:

- ماذا يعني هذا، بحق الشيطان!

وسارا واليد باليد. كانت تبكي، وهذا البكاء، اثار قلق بيدرو بالا، محدداً قلقه

في ساعات الليل الأول، ورؤى أبيه الذي سقط في النضال، ورؤى لآفة... مولو التي

اعلست ساعة الانقاص. وراح يلعن في دخيلته لقاءه بالسرنجيسة، وسرع في خطاه،

للموصول في اسرع وقت إلى مدخل الطريق. كانت تبكي بمرارة، فقال لها في غضب:

- ماذا حدث لك؟ لم يحدث لك شيء..

اكتفت بالنظر اليه وكانت عينها (مع انها كانت ما تزال تسير إلى جنبه، وأنها ما زالت مرتعبة) مغممتين بالمصاء والازدراء. خفض بيدرو رأسه، ولم يعد يدري ما

يقول. ولم يعد في قلبه الا الرعبة ولا العصب. بل فقط الأسى. وسعما لحن ساما كان

رحل ينس في الشارع. واشتد بكائها، وراح هو يضرب الرمل مقدمه. الآن كان

يحس بأنه أكثر ضعفاً منها، وكانت يد الرعية الصغيرة تنقل يده، وكأنها من

رصاص. ترك اليد، فابتعدت الغماة عنه، فلم يمتجج. كان يتمنى لو أنه لم يلتق بها ولو

أنه لم يلتق - حان دادام، ولو أنه لم يذهب إلى حي غالتوا.

ووصلا إلى الطريق، وقال لها:

- الآن تستطيعين الذهاب لن يسيء اليك احد... ونظرت إليه مجدداً ببعضاء،

وراحت تركض ولكن عند أقرب زاوية من الطريق، تسوقفت، والتفتت نحو،

(وكان ما يزال ينظر إليها) وهاالت عليه بالشائيم واللعنات، بصوت ملاء خوفاً:

- فليراقبك الطاعون والخرع والحرب، أيها الشقي. وليعاقبك الله، أيها الشقي، يا

ابن النعي، البائس، البائس، كان صوتها المنفرد يمتاز الطريق، ويشير قلق بيدرو بالا.

أما هي، فقبل أن تخفي عند محط الشارع، نصفت على الأرض، في ازدراء شديد جداً وكورت قاتلة:

- شقي... شقي...

لبث ساكناً في البدء، ثم انطلق راكضاً عبر الرمال، وكسان منطلقاً كسان الرياح تسوطه، وكأنه يفر من لعنات الرجعية الصغيرة. وكان يحس برغبة في الارتقاء في البحر لكي يفسل نفسه من كل هذا القلق، وبالرغبة في الانتقام من الناس الذين قتلوا أباه، أمها المعصاء التي يحس ما صد المدينة العتية، التي كانت تمند في الجانب الآخر من البحر، في أحباء، الحاجر، وه النصر، وه النعمة، ويأس حياته كولد منتشر، تحلى عه اهله، ولد مطارد (بفتح الراء)، والألم الذي كان يحس سه آراءه الرجعية الصغيرة المسكية، التي هي ولد أيضاً.

« ولد، هي أيضاً، وهذا ما كان يسمعه في صوت الرياح، وفي السابا التي يغنيها رجل مجهول، وصوت يقول ذلك في نفسه

مغامرة أوغون

في ليلة أخرى، ليلة شتوية قاتمة، لم يكن الصيادون خلافاً يفسامرون بركوب البحر، ليلة غضب بياجانا وكسانغو، في حين كانت ومضات البرق هي الضوء الوحيد في السماء الملبدة بغيوم ثقيلة وسوداء، ذهب بيدرو بسالا، و ذو الرجل الرخوة، وجوار غراندي، لمرافقة الماي-دي-سانتو دون أنينها، إلى منزلها البعيد. وكانت قد جاءت إلى المستودع في فترة بعد الظهر طالبة منهم خدمة ما، وفي حين كانت توضح ما تريد، حل الليل، مذهلاً ورهباً.

- لقد عصب أوغون... قالت الماي - دي سانتو هذا موضحة.

وهذا هو السب نفسه الذي قادها إليهم. وأثناء مدهامة الشرطة لأحد المعابد - الذي، وإن كان ليس هو معبدها، لأنه ما من شرطي يتحاصر بمدهامة معبد أنينها، - فهو موضوع تحب حاجبتها - استولت الشرطة على صورة أوغون، التي كانت موضوعة على مذبح معبدها وقد استخدمت دون أنينها كل سلطتها لدى أحد الحراس لكي تستعند القديس بل لقد ذهبت إلى منزل اسناذ في كلية الطب، صديقها، الذي كان يأتي لدراسة الدين الزنجي في معبدها، طالبة إليه إعادة ألفتها. وكان البروفيسور يعتقد تماماً أنه سيحصل من الشرطة على إعادة الصورة. ولكن لكي يضيفها إلى مجموعته من الاوثان الرجعية وليس لاعادتها إلى مذبحها في المعبد العبد. لهذا السب، ولأن أوغون كان في غرفة المعتقلين في مركز الشرطة، فإن كسانغو، في تلك الليلة، كان يطلق بروقه العاصعة وفي النهاية جاءت دون أنينها إلى حيث يقم فرسان الرمال، أصدقائها منذ زمن طويل، لأن جميع الزنوج، وجميع فقراء باهيا هم أصدقاء الماي - دي - سانتو. وكان لديها لكل منهم، كلمات ودبة وأمومية. إنها تشفي المرضى، وتجمع العشاق، ورفق سحرها قاتل الاشرار. وأوضححت ما حدث لبيدرو نالا. لم يكن زعم فرسان الرمال، يرتاد المعابد الشعبية كما أنه لم يكن يصمي إلى دروس الأب جوزيه بيدرو. لكنه كان على حد سواء، صديق الكاهن، وصديق الماي - دي - سانتو، وعند فرسان الرمال، حين كان هناك صديق، يخدمون هذا الصديق.

والآن كانوا يراقبون آئينها إلى منزلها . كان الليل حولهم مضطرباً ومنعماً .
بالغضب . وكان المطر يضي اجسامهم تحت مظلة الماء - دي - سانتو البيضاء الكبيرة .
وكانت طبول المعابد الشعبية تدق بايقاع لرد الايامنة التي الحقت بأوغون ، وربما في
أحد هذه المعابد ، أو في العديد منها ، كانت أو مولو تندو يسانتقام الناس الفقراء .
وقالت دون آئينها للغلمان بصوت مرير :

- إيهم لا يدعون الفقراء يعيشون . وهم لم يتركوا اله الفقراء في سلام . الفقير لا
يستطيع أن يرقص ، ولا أن يرتل لأله ، ولا أن يطلب نعمة من إله .
كان صوتها مريراً . صوت لم يكن يبدو أنه صوت ماي - دي - سانتو دون آئينها .
وتابعت تقول : إنهم يكتفون بترك الفقراء ، يموتون من الجوع . فالآن ينتزعون القديسين
من الفقراء . ورفعت قبضتها

أحس بيدرو بالا بوجبة نصف في دخيلته . لم يكن الفقراء يملكون شيئاً . كان
الأب حوريه بيدرو يقول ان الفقراء ، سيذهبون في يوم من الأيام إلى ملكوت
السموات ، حيث سيكون الله واحداً بالنسبة للجميع . لكن عقل بيدرو بالا الفني لم
يكن يجد أية عدالة في هذا ؛ في ملكة السموات الجميع سيكونون متساوين . لكنهم على
الارض ليسوا كذلك . فكفة الميزان تميل دائماً إلى جانب معين .

بأشد من أنعام الاوغوات والأناباكات (٢١) التي كانت ترد الايامنة الملحقة
بأوغون ، كانت لعنات ماي - دي - سانتو دون آئينها للليل . وكانت دون آئينها ، ذات
القامة الطويلة والنيحة ، تمثل نموذجاً استقراطياً للزنجية ، وكانت تجسن ارتداء ثياب
الزنجيات الباهيات ، أفضل من أية امرأة أخرى . كان وجهها مرحاً ، مع أن نظرة
واحدة منها كانت كافية لأن توحى باحترام مطلق . في هذا ، كانت تشبه الأب جوزيه
بيدرو . لكنها الآن كانت ذات هيئة مفزعة ، ولعناتها صد الاغتيا . وضد الشرطة
كانت تملأ ليل باهيا . وقلب بيدرو بالا .

وحين تركاها . محاطة - و بانها القديسات ، المراني كن يقبلن يدها ، وعددها
بيدرو بالا قائلاً :

- لا تهتمي ، أينها الأم دون آئينها . عداً سوف أعيد إليك أوغون .

(٢١) الاوغوات والأناباكات ، جمع امرغور وأناباك ، هما اثنتان موسيقيتان يستخدمهما المروج في
احتفالاتهم الدينية .
- ملاحظة من المترجم -

صربت بيدها على رأسه الأشقر ، وابسنت وقيل حواو غراندي و « ذو الرجل
الرخوة » يد الزنجية ، وهبطوا جميعاً طريق الساحل ، وكانت الاوغوات والأناباكات
تصدح لغسل الالهة التي الحقت بأوغون .

إن « ذا الرجل الرخوة » من جهته ، لم يكن يؤم بأي شيء ، لكنه كان يريد خدمة
دون آئينها ، وسأل :

- ماذا سنعمل ؟ إن « البضاعة » هي مع الشرطة ..

بصق حواو غراندي . وقد ائناه خوف ما :

- لا نقل عن أوغون إنه « بضاعة » ، يا « ذا الرجل الرخوة » ..

دمزج « ذو الرجل الرخوة » قائلاً :

- إنه سجين فهو لا يستطيع أن يفعل أي شيء .

صمت حواو غراندي ، ذلك لأنه كان يعلم أن أوغون قوي جداً ، وأنه ، حتى وهو
في السجن ، يستطيع أن يعاقب « ذا الرجل الرخوة » وحك بيدرو بالا دفته ، وطلب
سجارة .

- دعي احتر هذه المسألة . هناك حسابات يجب أن نؤديها لقد وعدنا دون آئينها .
والآن يجب أن نقوم بذلك .

نزلوا نحو المستودع . كان المطر يدخل عبر ثقوب السقف . وكان أكثر العلماء
يتكدسون في الزوايا ، حيث السقف غير منقوب . وقد حاول الامتضاء « اشعال
شمعته ، لكن الريح بدت أنها تلاعبه فكانت تطفي ، الشمعة لحظة بعد لحظة . وفي النهاية
تخلى عن القراءة ، وانهمك في لعبة « البعة والنصف » مع « القط » الذي كان يشرف
على الصندوق ، يساعده « الشاب اللطيف » في احدي الزوايا . وكانت قطع العملة
تندرج على الأرض ، ولكن لم يكن يوسع اي صوت أن يلهي « سكر الشعير » عن
صلواته أمام المذراء ماري ، والقديس أنطون

في ليالي الشتاء هذه ، لم يكن في استطاعتهم النوم . ولحظة بعد أخرى ، كان مبيض
ترق بصي « المستودع ، وحينئذ كانت تتميز الوجوه التحليلة والقصدرة « لفرسان
الرمال » وكان كثيرون منهم صفاراً ، بحيث أنهم كانوا يخافون النشائين والمسوخ
الأسطورية . وكانوا يلودون مالاكبر منهم سناً ، الذين لم يكونوا يحسون بسوى البرد
والعاس . وآخرون ، وهم الزوج ، كانوا يسمعون عبر دوي الرعد ، صوت كسانفو .
والناسة للجميع ، كانت ليالي العاصفة هذه ، رهبة مفزعة . وحتى « القط » ، الذي كان
لديه صدر امرأة يريح عليه رأسه الصباني ، كانت لباني العاصفة ليالي سبة . لأنه في

هذه الليالي، كان رجال - في المدينة ليس لديهم لكي يبرحوا رؤوسهم الخائفة، سوى سرير رجل اعزب، وهم يريدون اغراق رعيهم في صدر امرأة - في هذه الليالي، كان رجال يدفعون المال ليتناوم مع والدنا، ويدفعون جيداً. وهكذا، ظل العطف، في المستودع، متولياً الصندوق، مع أوراقه المزينة، يعاونه في العش والشارب اللطيف. كانوا يجلسون كلهم، مجتمعين قلقين، لكنهم كانوا يخدمهم مع ذلك، يحسون بأنه يقصهم نبي، ما، وليس فقط سرير دافيء، في غرفة مغلقة جيداً، بل أيضاً الكلمات الخنون من أم أو من أخت، تديب خوفهم. كانوا يتجمعون مكسدين بعضهم إلى جانب بعض، وبعضهم يترجم من البرد، تحت مصانهم وبنظالاتهم الممزقة. وآخرون كانوا يلبسون سترات صغيرة مسروقة، أو ملتقطه عن المزابيل، وهي سترات يستعملونها كمعاطف بل كان لدى الأستاذ معطف كبير جداً، بحيث كان يكتس به الأرض.

في أحد الأيام، وكان ذلك في الصيف، توقف رجل، وكان يرتدي معطفاً كبيراً، ليشرب مرطبات في أحد مطاعم المدينة. كان يبدو أنه غريب. كان ذلك في منتصف فترة بعد الظهر، وكان الحر يشوي الاجساد. لكن الرجل كان يبدو أنه لا يحس بالحر، لابساً معطفه الجديد. واعتبره الأستاذ أن منظر الرجل طريف، وقد اعجبه منه بوجه خاص، شكل رأسه الغريب. وبدأ يرم هذا الرجل (مع معطف هائل الضخامة، أكبر من الرجل)، وذلك بالبطشور، على الرصيف. وكان الأستاذ يضحك بسرور، لأن الرجل، ربما سيعطيه قطعة ذات الألفي ريبس. واستدار الرجل على كرسيه، ونظر إلى الرسم، شبه المنتهي. وكان الأستاذ يضحك إذ كان يرى الرسم ممتازاً، مع هذا المعطف الذي يسيطر على الرجل، ويغلب على امره. لكن الرجل لم يتذوق المسألة، واستولى عليه غضب شديد، فنهض عن كرسيه، ولبطه الأستاذ لطنين. فأصابته احداها الغلام في حصره، فندحرج على الرصيف وهو يئن. ووضع الرجل أيضاً قدمه على وجه الصبي، وقال له وهو يتعبد محتقن الوجه.

- خذ أيها الأزعر، لتعلم أن تسخر من الناس وانطلق وهو يبرن النقود في كفه، بعد أن بما الرسم نصف جو. وهرعت النادنة وساعدت، الأستاذ، على الهوض ونظرت باشفاق إلى الرسم وقالت:

- يا للهلم! رغم أن الرسم مشابه. انه اجن!

ودست يدها في جيبيها. حيث كانت تحتفظ بما تتاله من بشيش، وأحرحت قطعة ألف ريبس. وأودت أن تعطيها ل، الأستاذ. لكنه رفضها، كان يعلم أنه بحاجة

اليها، لكنه لم يستطع أخذها، وأخذ يتأمل في الرسم شبه المحو، وتابع طريقه، ويدها على جسبه. كان يسير دون أن تراوده أية أفكار، والغصة في صدره. لقد أراد ارضاء الرجل، وأن يستحق قطعة تقود منه. وقد تلقى لبتين. وكلمات فظة لم يكن يفهم لماذا هم مكروهون هكذا في المدينة؟ إنهم أولاد فقراء، بدون أب ولا أم. فلماذا يكرههم هكذا أولئك الرجال ذوو الملابس الجيدة؟ متى يرافقه الله، ولكن حدث أنه تلقى من جديد في الصحراء الرملية تحت الشمس، على طريق المستودع، بعد فترة قصيرة، بالرجل ذاتي المعطف كان يبدو أنه يتجه نحو إحدى السفن الراسية في المرفأ. وكان، الآن، يحمل معطفه على ذراعه، ذلك لأن الشمس كانت محرقة. استل الأستاذ سكيه (وكان نادراً ما يستعمله) واقترب من الرجل. وكان الحر قد أبعده عن الرمال حجب الناس، وكان الرجل ذو المعطف يمر عبر الرمال، ليقتصر الطريق المؤدية إلى المرفأ. واندس «الأستاذ» في صمت وراء الرجل، وحين أصبح قريباً منه، انتصب امامه، وبه يده السكينة. إن مجرد رؤية الرجل قد حولت متاعه مشاعره إلى شعور وحيد. الانتقام ونظر إليه الرجل مرتعماً. كان «الأستاذ» يكبر في مراجعته، وسكبه في يده وهمس من بين اسنانه:

- اليك عني، انها للنص.

تقدم، الأستاذ، مع سكيه، وامتنع وحه الرجل.

- ماذا يعني هذا؟ ماذا يعني هذا؟ وراح ينظر في كل ناحية، آملاً بأن يرى ظهور شخص ما. ولكن على ارضة المرفأ العبيدة، كان يرى رجال يعبدون ايضاً حينئذ راح الرجل ذو المعطف يجري لكن «الأستاذ» وثب عليه، وطعن يده بسكيه، فألقى الرجل معطفه على الأرض، وكان الدم يسيل من يده على الرمال وانطلق «الأستاذ» في اتجاه معاكس. وبقي لحظة لا يدري ماذا يفعل. لن يلبث حارس أن يظهر، ثم سيتضم إليه حراس كثيرون. يشاركون في مطارده مع الرجل. وإذا كانت سمية الرجل سينجر فوراً، فإن كل شيء سيكون على ما يرام. وستكون المطاودة قصيرة الامد. ولكن اذا تأخرت السيفتة في الرجل، فسيطارده الرجل بالتأكيد، إن أن يدركه، ويودعه السجن. وحينئذ تذكر «الأستاذ» الغنائة خادمة المطعم، فاتجه نحوه، ومن الخديفة المراجعة للطعم، أشار إلى الغنائة بأن تأتى. فركضت الغنائة نحوه، وفهمست بسرعة حين وأنه ومعها المعطف. وحذرهما «الأستاذ»

- هناك حرج في يده.

صحكت الغنائة:

- لقد انتقم البس كذلك؟ وأخذت المعطف إلى المعلم، ووضعت في مكان أمين، واختصت «الاستاذ»، إلى أن اجرت السبينة. لكن «الاستاذ» كان يتابع من مكانه، حركة الحراس عبر الرمال، وفي الطرقات المجاورة. على هذا النحو حصل «الاستاذ» على المعطف، الذي لم يرد بيعة أبداً. لقد كسب مطلقاً وكثيراً من الغصاء. وبعد ذلك بأعوام، حين أدهشت لوحانه الجدرانية الكبيرة، البلاد (كانت تمثل موضوعات عن حياة اولاد مشردين، ومسنولين كبار السن، وشغيلة وعمال موائه يتقومون بهدم السجون)، وقد لوحظ أن البورجوازيين الضخام الاجسام، كانوا يظهرون دائماً في رسوم «الاستاذ»، مودنين معاطف ضخمة، تمنع بشخصية أكثر من لاسيها. دخل بيدرو بالا، وجاوه غراندي، وه ذو الرجل الرخوة إلى المستودع، واتجهوا نحو الجماعة التي كانت تلعب حول «القط». وحين وصلوا توقف اللعب لحظة، وألقى «القط» نظرة على الثلاثة:

- هل تلعبون لعبة السبعة والوصف؟

أجاب، ذو الرجل الرخوة:

- وهل يظهر علي أنني أبله؟

جلس حواو غراندي برقيب، وابتعد بيدرو بالا مع «الاستاذ» إلى إحدى الزوايا. كان يريد إيجاد وسيلة لانتزاع صورة أوعون من الشرطة. وتاقشا هزيماً من الليل، وكانت الساعة الحادية عشرة تدق، حين خاطب بيدرو بالا، قبل خسروجه جميع «فرسان الرمال»:

- أيتها الأصدقاء، سوف اقوم أنا بضربة قوية. فإذا لم احضر إلى هنا غداً صباحاً فسأكون في المنخر، وسوف يدعونني لكي اتمن في دار الاصلاحية. سوف أفر... أو انكم ستقومون بأخراحي من هناك..

وخرج ورافقه جواو غراندي حتى الباب، وانصم «الاستاذ» مجدداً إلى «القط». كان الغلمان الأصفرة سناً ينظرون إلى رحيل زعيمهم بشيء من الخوف. لقد وضعا في بيدرو بالا ثقة كبيرة، وبدونه، وكثيرون منهم لا يعرفون كيف يتدربون أمورهم.

وخرج «سكر الشعير» من روايته، قاطعاً صلانه

- ما هي المسألة؟

- ذهب بيدرو للقيام بمهمة صعبة، فإذا لم يعد في الغد، فذلك يعني أنه قد قبض عليه.

- سوف نخرجه من السجن! هكذا قال «سكر الشعير» بلهجة طبيعية، وما كان

يكن أن يقال انه قبل دقائق كان يصلي، أمام صورة العذراء، لخلص روحه الصغيرة، روح اللص. وعاد إلى قدسيه، لبصلي من أجل بيدرو بالا.

واستأنف لعب الورق. في الخارج كان المطر وومضات البرق، والرعد والسحب في السماء، كان برد شديد يسود المستودع. وقطرات من الماء تتساقط على الأولاد الذين كانوا يلعبون لكن اللعب، الآن لم يعد يستأثر باهتمامهم، وه القط، هو نفسه كان يسي أن يكسب، وفي المستودع كان يسود نوع من الارتباك. وقد استمر ذلك إلى أن قال «الاستاذ»:

- سوف أذهب لأرى ماذا يحدث...

وقد رافقه جواو غراندي، وه القط، في تلك الليلة، كان «سكر الشعير» هو الذي رقد عند باب المستودع، والخنجر تحت رأسه. وقربه، كان «ذو الكوع الناشف» يسير غور الظلام بوجهه القاتم. وكان يتساءل أين يمكن أن تكون، في هذا الليل المظلم، جماعة لامبياو. ربما كانت، في هذا الليل العاصف، تقاثل الشرطة كما سيفعل بعد قليل بيدرو بالا. وكان «ذو الكوع الناشف» يعتقد بأن بيدرو بالا حين سيبلغ سن الرجال، سيكون يمثل شجاعة لامبياو كان لامبياو سيد البر الداخلي، وسيد السهوب التي لا نهاية لها. وسيكون بيدرو بالا سيد المدينة، والمناحي والشوارع، وأرضة الميناء، وأن «ذو الكوع الناشف» الذي هو من البر الداخلي، يستطيع أن يمضي عبر السهوب، وهير المدن، لأن لامبياو كان عرابه، وبيدرو بالا صديقه. وقد صباح الديك، وكانت تلك اشارة إلى أن «ذو الكوع الناشف» كان سعيداً.

حين كان بيدرو يرقى جانب الجبل، كان يستعيد ذهنياً حطنه. لقد وضعها مساعدة «الاستاذ» ومن بين جميع العلبات التي جازف بها، كانت العملية الحياية أكثرها خطراً. لكن للدون آيينها تستحق أن يتعرض لهذه المجازفة من أجلها، فحين كان يمرض احدهم، كانت تحضر الادوية المصنوعة من اوراق البات، وتعتنى به، وفي كثير من الاحيان تشفيه. وحين كان يظهر في أرضها غلام من «فرسان الرمال»، كانت تعامله كرجل، وتعتني أفضل ما عندها من طعام وشراب. كانت الخطة مجازفة، وربما لن تعطي أية نتيجة وبيدرو بالا، بعد أن يذرف السجن بصمة أيام، سينتهي به الامر إلى الاصلاحية، هناك حيث الحياة اشد بؤساً من حياة الكلب. ولكن كانت هناك فرصة لأن تنجح الخطة وسيلعب بيدرو بالا لعبة الكل بالكل على هذه الامكانية. ووصل إلى ساحة «المسرح». كان المطر يهطل، ورجال الشرطة يتقنون المطر بمعاظهم. وراح بيدرو يرثي على مهل، طلعة ساو - بتو، وسلك الطريق عبر ساو -

- أنا لست من هنا. أنا من مارغراندي. وقد جئت مع والدي اليوم.
لم يدعه الحارس يكمل كلامه. بل قاطعه:
- وماذا تعمل هنا، يا صبي؟
- لست أدري أين أنام. أود أن تسمح لي بالنوم عند الشرطة.
- مقر الشرطة ليس نقداً، أيها الأزهر. هيا، اذهب من هنا، أذهب وأشار إلى بيدرو بالابتعاد.

حينئذ حاول بيدرو اتغام المحادثة، لكن الحارس هدده بهراوته:
- اذهب وتم في حديقة، اذهب من هنا.
ذهب بيدرو وعلى وجهه غم وألم. واستمر الحارس برصد الغلام. وتوقف بيدرو عند محطة الترام، وبقي ينتظر. لم ينزل احد من الحافلة الأولى، ولكن من الحافلة الثانية نزل زوجان. انقض بيدرو بالا على المرأة ورأى الرجل أن الغلام يريد أن يحتفظ بحففتها، فأمسك به من ذراعه. وكان الفتى يقوم بالعمل بصورة سيئة، بحيث لو رآه أحد من جماعه «فرسان الرمال» لما عرف أن هذا الغلام هو رعم. وكان الحارس الذي تابع المسألة قد وصل إليهم.

- اذن، هل هذا الحوانت لست من هنا - أيها اللص السارق ..
وابتعد، قاصباً على بيدرو بالا من ذراعه. كان الغلام يسير ووجهه نصف حائف، ونصف ضاحك:

- لقد فعلت هذا لكي تنفض علي...
- ماذا؟

- إن كل ما قلته، هو حقيقته. إن والدي مجار. ولديه رورق في مارغراندي. والنوم، تركي هنا، ولم يعد. بسبب المعاصمة. وأنا لا أدري أين أنام. لقد طلبت النوم في المختر. وأنت لم ترد ذلك، وحينئذ تقفاهوت بأنني سأسرق المرأة وذلك فقط لكي تبصص علي. وأنا، لذي مكان أنام فيه.
- وترس طويل.

كان ذلك هو الجواب الوحيد للحارس. ودخلا إلى مركز الشرطة. واجتاز احارس رواقاً، وترك بيدرو بالا في غرفة المعتقلين. كان فيها حصة أو ستة رجال. وقال الحارس مزحراً
- الآن تستطيع النوم. يا ابن امك الجديبر، وبعد ذلك، حين سيأتي المفوض، سترى كم من الزم سننام ها..

بيدرو، واجتاز ساحة «البيداد»، وسلق شارع روزاريو؛ والآن أصبح امام «المركز الرئيسي للشرطة»، برابق التواضع وتحرك رجال الشرطة، والمفتشين الدبوس كانوا يدجلون ويجرجون. وبين دقيقة وأخرى، كان يمر ترام، دافعاً القضبان الحديدية إلى الصرب، واندأ من اصحاء الشارع المصاء اصلاً. وقد ابلغه الحارس وهو صديق دون أتيها. أن عمال «أوغرون» موجود في قاعة المعتقلين، ملقى على خزانة، في وسط اشياء أخرى مسوعة. صودرت أثناء مدهامات مختلفة قامت بها الشرطة لمبار للصوص وفي هذه القاعة. كان بوضع أولئك الذين اعتقلوا أثناء الليل، قبل أن يجري استجوابهم سواء من قبل المدوسين، أو من قبل مفوضي الخدمة، والذين يجري أرسامهم بعد ذلك إما إلى السجون، وإما إلى الشارع (أي يطلق سراحهم). وهناك، في رابية، في البدء. في حوانة كانت تمتلي بسرعة، ثم إلى حانها أو فوقها. كانت ترصع اشياء غير ذات فئمة، حوت مصادرتها أثناء مدهامات رجال الشرطة. وكانت خطة بيدرو بالا تقوم في أن يقضي الليل، أو شطراً منه، في قاعة المعتقلين، والمخروج (إذا استطاع الخروج) حاملاً تمثال الأثمة أو عيون. وكانت لدى بيدرو بالا أفضلية كبيرة: كان مجهولاً لدى الشرطة. وبالإضافة إلى ذلك، كان عدد قليل جداً من الحراس يعرفونه كمشرد في الشارع. رعم أن جميع الحراس، وحتى بعض المفتشين، يرعون شدة في القبض على زعم. فرسان الرمال. وكانوا يمدونهم عنه فقط أن في وجهه ندمه، وأمر بيدرو بالا يده على هذه البدنة. لكنهم كانوا يقنونه أطول قامة، مما هو في الواقع، وكانوا يعتقدون أن بيدرو بالا هو خلاص، وأكثر سناً. وإذا ما توصلوا لمعرفة رعم وفرسان الرمال، فإبهم لن يرسلوه إلى الاصلاحية، حيث يسهل الفرار، بل سيرسل إلى السجن، حيث لا يسهل الفرار على كل حال ..

سار بيدرو بالا حتى كامبو - غراندي. لكنه لم يعد يسير بتلك الخطوة اللامبالية، حظوة لص شوارع المدينة. بل كان يمضي الآن وهو يتربع مثل ابن مجار، وقد اسدل كاسكه على عيبيه حسب المنظر، رافعاً قبة سترته السوداء (كان صاحبها في الماضي رجلاً طويل القامة)

كان الحارس يقف تحت شجرة بسبب المطر. واقرب منه بيدرو بالا. كولد خائف وحين خاطب الحارس، كان صوته صوت ولد خائف من ليل المدينة المعاصف:
- سيدى الحارس..
نظر إليه الحارس:
- ماذا تريد، أيها الغلام.

الجميع، الخراس، والمعتقلين، وكان يرتحف بشدة بحيث أن الجميع أحسوا بالألم، وحتى اللص المحفور الوجه، قد خفض عينيه، كان الفتى اللوطي وحده ينسم.

لم يعد المحجور. ثم جاء دور الفتى اللوطي. وغاب فترة طويلة، وقد أوضح الرجل المغضن الوجه أن «مارينيت» هو من عائلة طيبة وبالطبع، كان قائد الشرطة يبري اتصالاً هاتعياً بأهله، طالباً أن يحضروا لأخذه، لكي لا يضطر لاعتقاله هذه الليلة.

وبين حين وآخر، حين يتعاضى كعبة كبيرة من الكوكابين، كان يحدث فضيحة في الشارع، وينقله أحد الخراس. وحين عاد «مارينيت»، كان ذلك فقط لاحتضن قمته وحينئذ رأى بيدرو بالاً ملقى على الأرض فقال،

- إنه فتى جداً، هذا الغلام. لكه حبل جداً - نصق بيدرو، وعيناه مغمضتان، ثم قال:

- اذهب يا لكع!، قل أن «سحق بوزك» ...

ضحك الآخرون، وحينئذ فقط، خاطبوا بيدرو:

- ماذا تصنع هنا، يا جرد الكنبية؟

- هذا لا يعنك، يا شجرة السعادين. هكذا اجاب بيدرو الرجل ذا الوجه المفرغ

اخارس نفسه احد يضحك، وأوضح للأخريين قصة بيدرو. لكن الرنجي الشاب استدعي بيدرو، وبقي الباقي صامتين كانوا يعلمون أن الرنجي قد سد طعنة سكين إلى رجل في مقهى، وحين عاد، كانت يداه متورمتين من الضربات التي تلقاها. وأوضح قائلاً:

- إنهم يقولون أنه سنجرى خاكتسي بسبب جروح حفيعة... أما هم، فقد سدوا إلى دزنيين من الضربات.

رصمت، ومحت عن رواية. وارتمى فيها. وصمت الآخرون هم أيضاً. وتبادروا واحداً بعد آخر حيث كان يستجوبهم المفوض. كان يطلق سراح البعض، والآخرون يرمنون إلى الحس، وآخرون يعودون وقد ادماهم الضرب. وكانت العاصفة قد هدأت وكان النهار يشرق. وكان بيدرو آخر من استدعي للاستجواب. وترك السترة التي لف بها صورة «أوغون».

كان المفوض محامياً شاماً يتلألاً في اصمه خام مرصع بياقوتة حراء، وكان يدخن السيمار. وحين دخل بيدرو مع الخراس، كان المفوض يطلب القهوة بصوت عال. ظل بيدرو واقفاً أمام المكتبة، ساكناً بلا حراك. وقال الخراس:

لزم بيدرو الصمت. ولم يعره المعتقلون الآخرون أي انتباه، وكانوا يهتمون أكثر بكثير بشخص لوطي قبض عليه، وهو يقول أنه يدعى «مارينيت». وفي إحدى الزوايا، شاهد بيدرو الخزانة. وكانت صورة «أوغون» على جدرانها، قرب سلة الورق. وفي حين كان الآخرون يتجادلون، لف تمثال أوغون (لم يكن كبيراً، وكان هناك تماثيل أكبر منه بكثير) في سترته، وتهدد على الأرض. ووضع يده على الرزمة، ونظره بالرفاد.

استمر معتقلو تلك الليلة بسخرون من اللوطي، باستثناء رجل عجوز كان يوتعد في رواية كان بيدرو يجهل ماذا كان يكاه الرجل من البرد أم من الخوف. لكنه سمع صوت زيجي شاب يقول له «مارينيت»:

- من الذي ففس بكارتك؟

- أوه، دعني. هكذا اجاب اللوطي صاحباً

وقال الآخرون. لا. احك لنا، احك!

- آه... إنه لبيبولد آه!

استمر المحجور يرتعد. ولاحظه في الزاوية لص حفر السمل وجهه:

- لماذا لا تنصق بهذا العجوز؟

هكذا سأل الرنجي الذي كان يملك لأمأ، الفتى المسمى «مارينيت».

قال الفتى اللوطي. ألا ترى أنني لا أركض وراء المعاجز؟ ثم، هذا يكفي، حل عي.

والآن. كان حارس يصحك عند الباب، والتمت الرجل المحفور الوجه نحر المحجور الذي انكمش على نفسه.

- أما أنت. فكنت تريد تماماً لو أن هذا الفتى، «مارينيت» قد دبرك.. أليس كذلك يا عامه؟

- أنا رجل عجوز ولم اعمل أي شيء. هكذا همس العجوز، أكثر من كونه تكلم. أما لم اعمل أي شيء، وابنتي تنتظرني

حزر بيدرو الذي كان مغمض العين، أن الرجل كان يكي، لكن بيدرو استمر بتظاهر بالثوم. كان تمثال «أوغون» يؤلم رأسه وواصل المعتقلون يمزحون في صد الفتى اللوطي والعجوز. إلى أن وصل حارس آخر، قال للمحجور:

- اسب. ايبا العجوز.. هيا بنا

قال المحجور مجدداً. أنا لم اعمل أي شيء. إن ابنتي تنتظرني.. كان يحاطب

- هذا هو الغلام السارق في كاموغراندي

أشار المفوض بيده:

- انظر اذا كانت هذه القهوة متصل أو لا تصل . .

انسحب الحارس وقرأ المفوض تقرير الحارس الذي اعتقل بيدرو بالا ، ثم نظر إلى الغلام:

- ماذا لديك لتقول؟ ولن تكذب طبعاً .

روى بيدرو بصوت خائف قصة طويلة. قال إن والده صياد في مارغراندي ، وأنه في هذا اليوم بالذات ، في الصباح ، جاء مع الزورق ، واصطحبه . ولكن اثر ذلك ، عاد لكي يحصر حمولة ثانية . وتركه في المدينة ينتزه لأن الصياد سيعود مرة ثانية إلى ناهيا في فترة بعد الظهر ، وحينئذ يستطيع الغلام العودة مع والده. لكن العاصفة هبت ، فحالت دون عودة أبيه ، وهو ، أي الغلام ، الذي لم يكن يعرف أحداً ، بقي تحت المطر ، دون أن يعرف أين سينام . وسأل رجلاً في الشارع أين يمكنه النوم ، فقال « في مخمر الشرطة » . وحينئذ طلب من الحارس أن يصطحبه إلى المخفر ، لكن الحارس رفض ذلك ، وهو ، أي الغلام ، تظاهر حينئذ بأنه يريد سرعة امرأة ، لكي يقوده الحارس إلى مركز الشرطة ، فينام تحت سقمه

- وهكذا فانا لم اسرق ، ولم أفر ... هذا ما قاله في ختام افادته .

قال المفوض ، الذي كان يندق قهوة قهورة بمحرات صمغية ، في نفسه:

- مستحيل أن يخلق غلام في مثل سنه قصة كهذه ... ، وأثر ذلك ، ونظراً لأنه كان لدى المفوض - المحامي ميول أدبية - فقد همس قائلاً : « هذه الحادثة ستكون قصة هائلة » وانتم بشاشة ، وسأل بيدرو .

- ما اسم والدك؟

- أوغسو سانتوس ، وقد اختار اسم مجاز معروف في مارغراندي .

- اذا كان ما قلته لي صحيحاً ، سأطلق سراحك . وإذا تبين أنك تريد خداعي بهذه القصة ، فسوف ترى .

ودق الحرس ، مستديعاً الحارس كانت اعصاب بيدرو متوترة جداً . ووصل الحارس ، وسأله المفوض ما اذا كان لدى الشرطة سجل بأسماء صيادي مارغراندي ، الذين يربسون على أرضة السرقة .

- نعم يا سيدي ، يوجد سجل .

- اذهب وانظر اذا كان بين اسم الصيادين صياد اسمه اوغستو سانتوس وعد

وأبلعي الحواب . ولكن محمل لأن ساعة خروجي قد اقتربت .

نظر بيدرو بالا إلى ساعة الجدار . كانت تشير إلى الساعة الخامسة وال نصف صباحاً . وعاب الحارس نصح دقائق ، ولم يعد المفوض يهتم بيدرو ، الذي كان واقفاً ، أمام مكتبه ثم عاد الحارس ، وقال :

- نعم يا سيدي ، هناك صياد يحمل هذا الاسم ، واليوم بالذات ، كان على أرضة الساعة ، ثم عاد بعد قليل .

أشار المفوض بيده وقال للحارس .

- اطلق سراح هذا الازعر .

طلب بيدرو الاذن بأخذ سترته ، ووضعها تحت ذراعها ، وما كان يظن أحد أنه يحمل تحت طياتها صورة « أنغون » واجاز الغلام والحارس الوراق مجدداً ، وتركه الحارس على الباب . واجاز بيدرو ساحة « المحزونين » ودار حول الكنيسة القديمة ، ووصل الى عامرادي سبياً ، والان تظلي ركضاً لكنه سمع خطى خلفه . كان يبدو أن هناك من يتبعه ونظر . فإذ ب « الاستاذ » ، وحوار غراندي ، و « القظ » يركضون نحوه ، وانظروا إلى أن وصلوا اليه ، وسألهم وقد ألم به الفصول:

- ماذا تصمون في هذا المكان؟

حك « الاستاذ » رأسه

- ألا ترى أننا خرجنا ، الآن ، في ساعة مبكرة؟ كائنروح ونغي ، هنا . كنا سهر دون فعل أي شيء ، حين رأيناك وأنت منطلق وكصاً ...

وفتح بيدرو سترته ، وأظهر ثمنك « أوغون » . وأطلق جواو غراندي ضحكة سرور :

- كيف فعلت للثعلب عليهم؟

نزولوا على الساحل المنزلق ، بسبب الامطار التي هطلت في الليل . وسار بيدرو بالا مع صاحبيه ، وهو يروي لها مفامرات الليلة . وسأل « القظ » :

- ألم تخف حتى قليلاً؟

أراد بيدرو في البدء أن يقول لا ، لكنه اعترف قائلاً :

- لكي اقول الحقيقة ، لقد استوى علي خوف من الضيبة . والمضيبة هي السجن .

لكي تحلصت منها . وضحك للامح الوجه المرتعب ، وجه جواو غراندي . كانت

السماة الآن زرقاء . صافية ، بلا سحب ، والشمس تتلألأ وهناك ، من الطلعة ، كانوا

يرون القوارب التي تخرج من رصيف « السوق » .

حيث يتسم الله مثل زنجي صغير

لاعطائهم جميعاً المأكّل والملبس... وفكر «سكر الشعير» بأنهم جميعاً محكوم عليهم مدحول الجحيم، ويبدو بالألم ليس يؤمن بوجود المحمّد، وكذلك الأستاذ لم يكن يؤمن بذلك كما يسحران من «سكر الشعير»، أما جواو هراندي، من جهته، فقد كان يؤمن بـ «كساعو» و«أومولو»، وبأفة الزنوج الذين جاؤوا من إفريقيا. إن حبيب الله الطيب، الذي كان صياداً شجاعاً، وراقصاً مصارعاً لا مثيل له، كان يؤمن هو أيضاً بأفة الروح، وكان يخلط بينهم وبين القديسين البيض، الذين جاؤوا من أوروبا. وكان الأب جوزيه بيدرو يقول إن هذه المعتقدات هي كلها إوهام وترهات.

وأن هذا خطأ، ولكن لبسوا هم «فرسان الرمال»، مسؤولين عنه، وحزن «سكر الشعير» وسط جبال النهار. إذن، فكلمهم بتحكم عليهم بدخول الجحيم «كان الجحيم مكاناً للثيران الأبدية، حيث يمترق المحكومون طوال حياتهم، وهذه الحياة لا تنتهي أبداً. وفي الجحيم، يوجد شهداء يحمولون حتى من الشرطة، وحتى من الإصلاحية. وتقبل صصه أيام، أثناء عوطفة في كيسة «لابيداد»، سمع «سكر الشعير» رهاها ألمانياً بصف الجحيم. وعلى المقاعد، كان الرجال والنساء، يتلقون كلمات الراهب الساربية وألمها صرنات سيات. كان الراهب أحر اللون، والعرق يسيل من وجهه. وكان كلامه مرتكاً. وعر هذا الكلام، كان الجحيم يبدو أكثر رهبة أيضاً، والسنة اللهب تلحس الاجساد التي كانت جنية على الأرض، وقد انصرفت إلى الحب، والأيدي كانت رشيقة ماهرة، وقد قامت بالسرقة، وباستعمال الخنجر والموسى. كان الله، عمر خطاط الراهب، هو الله المقاضي الذي يعاقب، وليس الله الطيب للنهايات الجميلة التي صيحتها الأب جوزيه بيدرو. وائر ذلك، أوضحو لـ «سكر الشعير»، أن الله هو الطيبة العصورى، والعدالة القصورى. وغلف «سكر الشعير»، حبه لله الطيب بغلالة من الخوف إزاء الله، ومن الآن تضاعف، سيميش «سكر الشعير» مقسباً بين الشعورين.

كانت حياته الحياة الشقية لولد متشرد، تقل عنه الأهل والناس، وعلى هذا الأساس، كانت حياته تحكم عليه بجماعة خطيئة، وسرقات شبه بومية، وأكاذيب على أسواب الناس الاغبياء، ولذا الس، في جبال هذا اليوم البديع، كان «سكر الشعير» يتأمل السماء بعينيه اللتين وسعها الخوف، وطلب إلى الله الطيب طلباً جدياً. (لكنه عادل أيضاً...) المغرران خطاياهم، وخطايا «فرسان الرمال»، رفاقه. نفسي البدء، لم تكس العلطة غلظتهم، وكان الخطأ خطأ الحياة...

كان الأب جوزيه بيدرو يقول إن العلطة هي علطة الحياة، ذلك لأنه كان يعلم أن هذه هي الوسيلة الوحيدة ليضمن لهم حياة مرارة من الآفات والذنوب. ولكن، معد

كان تظفل سوع اغراء كبراً جداً. ما كان يقال إن هذا ظهر لأحد أيام الشتاء، كانت الشمس تصب على الشوارع صباةً نطيفاً، لم يكن يحرق، بل كان دفته مداعباً مثل يد امرأة. وفي الحديقة الاقرب، كانت الازهار تنفتح في ماقات من الألوان. أزهار اللؤلؤ، والورود والقرنفل والدهليات والبنفسج. وفي الشارع كان يبدو أن نمة عطرأ لديداً رقيقاً إلى أقصى حد، لكن «سكر الشعير» كان يحس أن هذا العطر يفخذ إلى حياشيمه، ويسكره. وعند باب برتغاليين اغبياء، أكل بقايا غداء كانت شبه مادة في حد ذاتها. إن الحامدة التي احضرت له الصحن المليء قد تسالت وهي تنظر إلى الشوارع، وإلى شمس الشتاء، والرجال الذين يمزون بدون معاطف:

- إنه ماهر جميل.

هذه الكلمات رافقت «سكر الشعير» في الشارع. كان النهار جميلاً، وكان الغلام الصغير تعفي عمر سال، صافراً بلحن سامبا علمه اياه «حبيب الله الطيب»، متذكراً أن الأب جوزيه بيدرو قد وعد بأن يجعل كل ما يستطيعه لادخاله إلى دير لندراسه والساده. لقد قال له الأب جوزيه بيدرو أن كل هذا الجهال المايط، السامسل للأرض والناس. هو هبه من الله، وأنه يجب أن يمدد الله عليه. وراح «سكر الشعير» يتأمل النساء الرقائق حيث لا يد أن يكون الله الطيب موجوداً وشكره بابتسامه. كان يفكر في أن الله هو حقاً طيبسب. ولسدى تفكيره في الله الطيبسب فكر أيضاً في «فرسان الرمال»، كانوا يسرقون ويقاثلون في الطرقات، ويلعبون، ويشتمون، ويمدون الزنجيبات الصغيرات على الرسائل، ويجرحسون أحياناً طعنات حجر أو موسى راحلاً وشرطين... ومع ذلك كانوا طيبين، وبعضهم أصدقاء بعض. وإذا كانوا يفعلون كل هذه الأشياء، فذلك لأنه ليس لهم أب ولا أم، ولأن حياتهم كانت حياة لا تضمن لهم الرغيف، وكانوا يتامون في مبنى لا سقف له تقريباً. ولو لم يكونوا يفعلون كل تلك الأشياء، لماتوا جميعاً، لأنها كانت نادرة المنازل التي تعطي الطعام لواحد منهم، وللآخر تعطي الشاب. والمدينة بكاملها لن تكفي

ظهر أحد الايام، حيث كان الأب جوزيه موجوداً هناك، وكذلك حامل الميثاء، جان دادام، أعلن هذا أن الغلظة هي غلظة المجتمع السني التنظيم، وغلظة الاغنياء... وأنه ما دام هذا لا يتغير، فإن الأولاد لن يتمكنوا من أن يصبحوا رجال خير. وأضاف أن الأب جوزيه بيدرو لن يتسكن أبداً من فعل أي شيء. لأجل الأولاد، لأن الاغنياء سيمعونه من ذلك. في ذلك اليوم، أحس الأب جوزيه بيدرو بأسى كبير، وحين حارل وسكر الشعير، تعزيتة موصحاً له أنه لا ينبغي اعادة أي انشاء لآراء جان دادام، أعجاب الأب وهو بهز رأسه المزيل:

- هناك احببان التوصل فيها للتفكير بأنه على حق، وأن كل شيء يجري بالمقلوب. لكن الله طيب، وهو سيمكنك من المداواة...

كان الأب جوزيه بيدرو يعتقد أن الله سيفر. وكان الأب يريد مساعدة الأولاد. ولما لم يكن يجد، إن لم يكن الوسائل للتوصل إلى ذلك، فعل الأقل، مع الأسف، جداراً امامه (كان جميع الناس يريدون معاملة فرسان الرمال ياما كسحرمين، وإما كاوالاد يمانلون الأولاد الذين ربوا داخل بيت، وعائلة) كان الأب جوزيه بيدرو يحس بما يشبه اليأس، بل وأحياناً يكون فاقداً الاتجاه، ضائماً. ولكنه كان يسأل في أن الله سيليهمه في يوم من الايام، وبانتظار ذلك، لم يكن يعيب عن الأولاد، مع نجاحه أحياناً في إبعادهم عن أعمال شريرة. بل كان احد أولئك الذين اسهموا في قطع دابر اللواط في الجماعة. وقد شكل هذا احدى التجارب الكبرى في كيفية معاملة فرسان الرمال. وطوال ما كان الأب جوزيه بيدرو يردد بأن من الضروري التخلص من اللواط، لأنه خطيئة، ولأنه شيء قذر وشع. كان الأولاد يسخرون منه خفية، واستمروا في مضاحكة الأولاد الأثني ساء والأجمل. ولكن، حين قال لهم الأب، يساعده هذه المرة حبيب الله الطيب، أن اللواط عمل غير جدير بالرجل، وأنه يجعل الرجل شبيهاً بالمرأة، بل وأنسأ من المرأة، اتخذ بيدرو بالا تدابير قاسية، وطرد بحبي اللواط السليبين من الجماعة، وبالرغم من جهود الأب حوزيه بيدرو، لم يقبل بيدرو بالا بعودتهم أبداً. - اذا عادوا، فستنكر القدرة، يا ابت.

وقد انزع بيدرو بالا اللواط من بيته و فرسان الرمال كما ينتزع الجراح زائدة دودية ملتصقة من جسم رحل. وكان الأضعب، بالنسبة للأب جوزيه بيدرو، التوفيق بين الأشياء. لكنه كان يتحسس طريقه، ويتسكع أحياناً بارتياح للنتائج، وإن كان جان دادام، رغم كل شيء، يفضلك منه، ويتادي بأن الثورة وحدها هي التي سنوي كل هذه الأمور كما ينبغي. وهالك في الأعلى، في المدينة العليا، كان الرجال الاغنياء

والنساء يطالبون بشدة بأن يسجن فرسان الرمال، أو أن يجري ادخالهم إلى الاصلاحية، التي هي أسوأ من السجن. وهناك، تحت، على ارضة الميثاء، كان جان دادام يريد التخلص من الاغنياء، وتحقق المساواة في كل شيء، وإعطاء المدارس للأولاد الصغار. وكان الأب، من جهته، يريد اعطاءهم المنزل والمدرسة، والمكان، والرفاهية، بدون الثورة، وبدون التخلص من الاغنياء. ولكن في كل ناحية، كان يقوم حاجز. كان الأب يحس بأنه ضائع، وكان يطلب إلى الله أن يلمحه. وبشيء من الرعب، حين كان يفكر في هذه المسألة، كان يعطي الحق، حتى دون أن يدري، لعامل الميثاء، جان دادام. وحينئذ كان يلم به، أي اخوري جوزيه بيدرو، الخوف، لأن ذلك لم يكن دروس أسانذته، وكان يصلي طوال ساعات لكي ينير الله طريقه.

بين فرسان الرمال، كان وسكر الشعير، المكس الكبير للأب جوزيه بيدرو. وقد كانت له سمعة بصفته أكثر اعضاء الجماعة شراً، وكان يروي أنه في أحد الايام عرس خنجره في عنق غلام لم يرد أن يقراه الحفلة تقيداً، وكان يزيد غرس خنجره ببطء، دون أن يوتخف، حتى سال الدم، واعطاه الولد آخر كل ما طلبه. ولكن يروي أيضاً أنه عرس موساه أيضاً في جسم شيكو - الشحم، وحين كان هذا الخلاسي يعذب هوأ جازف بالدخول إلى المستودع مطاردة الجردان. ويرم راح الأب جوزيه بيدرو يتكلم عن الله، والنساء، والمسبح وعن الطيبة والتقى، أخذ وسكر الشعير يتغير. كان الله يتاديه، وكان يسمع صوته القوي عبر المستودع. وكان يرى الله في احلامه ويسمع نداء الله هذا الذي كان يتكلم عنه الأب جوزيه بيدرو. واتجه بكل كائنه نحو الله، وكان يصلي أمام الصور التي اعطاه اياها اخوري وفي اليوم الأول، قوبل بصقير السخرية في المستودع، فضرب ولدأ من الاسمر سنأ، وصمت الباقون. وفي اليوم التالي، قال له الأب إنه أي وسكر الشعير، قد أساء العمل، وأنه كان عليه أن يتألم من أجل الله، وحينئذ اعطى وسكر الشعير موساه الجديدة تقريباً إلى الصبي الذي صر به. وأبدأ بعد ذلك لم يضرب أي غلام آخر. وكان يتجنب المجادلات والخلافات، وإذا كان لم يتجنب السرقات، فذلك لأنها كانت وسيلتهم للعيش، بل وسيلتهم الوحيدة كان وسكر الشعير يحس شدة بدعوة الله، وكان يريد أن يتألم من أجل الله وساعات وساعات، كان يركع في المستودع راقداً على الأرض، وكان يصلي حتى وهو منها لك ناعساً. ويهرب من الرنجيات الصغيرة اللواتي كن يعرضن عليه بجامعتن على رمال الساحل الساحة نكته، حينئذ كان يحل الله الطيبة الثبقة، ويقدم أله لقاء الآلام التي عاناها الله على الأرض اثر ذلك، جاء ذلك الكشف عن الله المقاضي، عميق العدالة،

(بالنسبة لسكر الشعير ، أصبح هذا الإله المنتقم) واجتاح خوف الله قلبه ، واختلط مع حب الله . وأصبحت صلواته أقل طولاً ، فكان هو الجحيم يختلط بنعم الله والمتع التي يعطيها . كان يصوم أياماً بكاملها . وأصبح وجهه نحيلاً مثل وجه زاهد منسك . كانت له عينا صوفي ، وكان يعتقد أنه يرى الله عبر ليالي الرقاد . ولذلك كان يبعد نظراته عن أرواف وسود الزنجيات الصغيرات اللواتي كن يسرن كأنهن يرقصن ، هل أنظار الجحيم ، في أزقة المدينة القمطرة . وكان يأمل في أن يصبح يوماً كاهناً لاله ، وأن يعيش فقط للتأمل فيه ، وأن لا يعيش إلا من أجله . وكان حب الله يمنحه الأمل في النجاح . وأن الخوف من الله المنتقم من خطايا سكر الشعير ، كان يجعله بالأسوأ من الخلاص . وهذا الحب ، وهذا الخوف ، هما اللذان كانا يجعلان سكر الشعير ، يتردد أمام هذه الواجهة الزجاجة ، في ساعة الظهر هذه ، المأى بالجمال . الشمس لطيفة ونيرة ، والأزهار تفتح في الحديقة ، وفي كل مكان بسود الهدوء والسلام . ولكن كانت أجل بين جميع الأشياء . هذه الصورة للحبل الأبي ، مع الطفل يسوع ، التي كانت على رف هذا الحانوت ، ذي الباب الواحد . وفي الواجهة الزجاجة ، صور قديسين ، وكتب صلاة قيمة التجليد ، ومساح ذهبية ، وذخيرات فضية . لكن في الداخل ، في آخر الرف الذي يصل إلى الباب . كانت عدراء الحبل قد التفتل يسوع نحو « سكر الشعير » ، واعتقد « سكر الشعير » أن العدراء تريد أن تعهد إليه بالله الطيب ، الله الطيب الصغير والعاري تماماً . القفر مثل « سكر الشعير » . لقد صنع النحات الولد نحيلاً ، والعدراء حزينة جداً فزأ صغرها عنارضة إياه أمام الأشخاص البدناء والأغنياء . لذلك كان التمثال يبقسى في الحانوت ، ولا يبساع . إن التفتل يسوع في الصور والتماثيل المعروفة هو دائماً طفل جبيل بسديس . بيئته ولد غني ، إله غني . وهو هنا إله فقير ، ولد فقير ، مشابه تماماً لـ « سكر الشعير » ومشاربه أكثر أيضاً للأولاد الأصغر في الجماعة ، ومائل بالضغط لولد في المهذ ، البالغ بصعته أشهر فقط من العمر ، الذي ترك يوماً في الشارع ، حيث ماتت امه من نوبة قلبية ، وهي تحمله بين ذراعيها ، والذي احضره جوارو غراندي إلى المستودع ، حيث بقي حتى نهاية فترة بعد الطيور (وكان الأولاد يأتون وينظرون ويضحكون من « الاستناد » ومن الزعم ، المنهكين في تأمير الحليب والماء للطفل الرضيع) . حتى جاءت الماي - دي سانتو آتينها . وأخذته معها ، مرتدة إياه على صدرها . مع فارق وحيد ، هو أن هذا الطفل هو زعي ، في حين أن الطفل يسوع هو أبيض . وبلاجمال ، فإن التشابه كامل . إن له وجهاً باكياً ، هذا الطفل يسوع الخزيل والقفر ، بين ذراعي العدراء . وهذه تهدي

إلى « سكر الشعير » ، والمداعبات ، سكر الشعير ، « وحب « سكر الشعير » . وهناك في الخارج ، النهار حبل ، والشمس رحيمة ، والأزهار متفتحة . ووحده ، في هذا النهار ، الطفل يسوع جالس ويردان . إن « سكر الشعير » سيأخذ إلى مستودع « فرسان الرمال » وسيصلي لأجله ، ويعني به ، وسيفديه بجه . الا بظفر النظر تماماً أنه يعكس جميع التماثيل والصور ، ليس الطفل يسوع محسوساً بين ذراعي العدراء ، وأنه حر بين يديها ، وأنها تقدمه لحنان « سكر الشعير » . وخطا خطوة إلى الأمام ، وفي داخل الحانوت ، كانت آتة وحيدة تنتظر الزبائن ، وهي تجرب على شفتيها ماركة جديدة من أحر الشفاء وليس ما هو أبسط من أخذ الطفل يسوع . ومد « سكر الشعير » قدمه ليخطو خطوة أخرى ، لكن خوف الله احتاحه . وظل ساكناً بلا حراك . يفكر . وهو في خوفه ، أقسم بأنه لن يسرق الا لكي يأكل . أو حين تقضي بذلك قوانين الجماعة ، أي القيام بعملية سطو يعينه للقيام بها بدون مالا . ذلك لأنه كان يقدر أن خيانة القوانين (إنها لم تكن ولكنها كانت مسجلة في ضمير كل ولد من أعضاء الجماعة) إن خيانة قوانين « فرسان الرمال » كانت أيضاً خطيئة . وهو الآن يسرق الطفل يسوع ، لا شيء . إلا ليكون معه . وليعذبه بجمانه . كانت هذه خطيئته ، إنه لا يفعل ذلك لكي يأكل ، أو لكي يطبخ قوانين « فرسان الرمال » . كانت هذه خطيئته ، وسوف يسلمه لتيران الجحيم يأكل ، ولا لكي يتدفقاً . إن الله عادل ، وسيعاقبه ، وسوف يسلمه لتيران الجحيم المتأججة . وسوف يجترق لحمه ، ومداه اللتان ستأخذان الطفل يسوع ، ستحترقان طوال حياة لن تنتهي أبداً . لقد كان الطفل يسوع ملكاً لصاحب الحانوت . لكن هذا لديه اضطال - يسوع كثيرون ، وجميعهم بدناء ، وموردون ، كثيرون يبحث أنه لن يشعر بالنقص للعقدان الواحد ، نحيل وضعيف البنية جداً والأخرون كانوا ملفوفين في أقنعة نجيبة ، دائماً أقنعة ورقاء ساوية لكن من النسيج الغالي الثمن . أما هذا الطفل يسوع ، فكان عارياً كلياً ، وكان يجس ناليرد في بطنه ، كان نحلاً هزيلاً ، وحتى من النحات لم يحصل على أي حنان . وكانت العدراء تقدمه لـ « سكر الشعير » وكان الطفل حراً من ذراعيها . إن لدى صاحب الحانوت كثيراً من الأعطال - يسوع ، كثيراً . وكيف يشعر بالنقص إذا فقد هذا الطفل يسوع ، الخزيل والعاري ؟ ولعل صاحب الحانوت لن يعلق عليه أهمية . بل ربما يصحك حين سبلم بسرعة هذا الطفل يسوع الذي لم يتوصل أبداً لبيعه ، والذي كان حرراً بين ذراعي العدراء ، والذي أمامه كانت النساء التقيات اللواتي يأتين للشراء ، يصحن مرتعسات :

- كلا ليس هذا لا ! إنه تسبح جداً لتيفغر في الله .. وهو ، فوق ذلك ،

موصول عن ذراعي سيدنا العذراء . إنه سوف يسقط على الأرض ، وينتهي الامر ... لا ، ليس هذا .

وقى الطفل يسوع هنا . كانت العذراء تقدمه لحنان المارة ، ولكن لم يكن احد يريد له تكن السماء الثقبات يردنه لأجل زاوية مصلاهن في منازلهن ، حيث يوجد أطفال - يسوع آخرون ، يتصلون صنادل فضية ، ومنجون بتاج ذهبي ، ورأى «سكر الشعير» فقط أن الصغير يسوع حائج وظئان ، وبردان أيضاً ، وكان يريد أخذه . لكن «سكر الشعير» لم يكن لديه نفرد ، كما لم تكن لديه العادة لشراء الأشياء . كان يستطيع أخذه ، كان يستطيع أن يعطي الطفل يسوع ما يأكله ، وما يشربه ، وما يرتديه ، كل هذا يتمده من حبه لله . ولكن إن فعل ذلك ، أي إن سرق الطفل يسوع ، فسوف يعاقبه الله ، وسوف تلتهم نار جهنم كل حياة «سكر الشعير» التي لا تنتهي ، وبسببه اللتين ستأخذان الطفل يسوع ورأسه الذي يفكر في أخذه . وحينئذ نذكر «سكر الشعير» وأن الية وحدها تشكل خطيئة ، وأن الشخص يخفي فقط حين يفكر في فعل الخطيئة . لقد قال الاح الألماني أن الشخص يكون في كثير من الأحيان أخذاً بارتكاب الخطيئة ، وهو لا يعرف ذلك ، لأنه يخفي بالفكر ، فخاف «سكر الشعير» من الله ، وانطلق راکضاً بسرعة ، لكي لا يستمر في ارتكاب الخطيئة . لكنه لم يركض زمناً طويلاً ، بل وقف عند زاوية الطريق ، ولم يستطع أن يتبعد كثيراً عن التمثال . ونظر إلى الواجهات الزجاجية الأخرى ، وحل هذا النحو لم يكن يرتكب الخطيئة . ودمس يديه في جيبه ، (كان يمسك بها ..) وحول سير أفكاره . ولكن الآن كان ير امامه الرجال العالدين إلى معلمهم بعد الغداء ، وساورته فكرة : بعد لحظات ، سيعود مستخدمو الخانوت الآخرون ، وحينئذ سيكون من المستحيل اخذ الطفل يسوع . سيكون ذلك مستحيلاً ... وعاد «سكر الشعير» إلى امام حزن الأشياء الدبية

هنا كان الطفل يسوع ، والعذراء التي تقدمه إلى «سكر الشعير» . ودقت ساعة جدارية الساعة الواحدة بعد الظهر . لن يلبث أن يحضر المستخدمون الآخرون في الخانوت . وكم سيكونون ؟ حتى ولو لم يكن هناك سوى مستخدم واحد ، فإن الخانوت صغير ، بحيث يصبح مستحيلاً أخذ الطفل يسوع . وبدا له أن العذراء هي التي تهمس له بهذا . والعذراء هي التي تقول له إنه إذا لم يأخذ الطفل يسوع - يسوع فوراً ، فهو لن يستطيع أخذه بعد ذلك . كأنها تماماً تقول هذا . وبالتأكيد أنها هي ، أجل ، هي التي جعلت الأتنة تختفي وراء الستار الموجود في عمق المخزن ، الذي تلمست الآن عن حراسته . نعم ، إنها العذراء التي تمد الآن الطفل يسوع نحو «سكر الشعير» ، ويمتدداً ما

يسمح لها ذراعها ، ندعوه بصوتها اللطيف :

- «خذة واعتن به جيداً... اعتن به جيداً...» .

تقدم «سكر الشعير» ورأى الجحيم وعقاب الله ، وبداء ورأسه التي تحترق طوال حياة لا تنتهي ، لكنه هز نفسه كأنه يلقي عنه بعيداً تلك الرؤيا ، وتلقى الطفل يسوع الذي كانت تقدمه له العذراء واستند إلى صدره ، واختفى في الشارع . لم يكن ينظر إلى الطفل يسوع . لكنه حذر الآن ، أن الطفل يسوع ، المستود إلى صدره ، ينتم ، وهو لم يعد جائعاً ، ولا ظئان ، ولا يحس بالبرد . إن الطفل يسوع يبتسم كما كان يبتسم الزنحي الصغير حين صار في المستود ، وكان يرى أن جوار عراندني كان يعطيه الحليب بالمعلقة ، بيديه الخالتي الكبير ، في حين كان «الاستاذ» يشده على دفة صدره .

العائنة

وهكذا اِبتسم الطفل يسوع

إن «الشارب اللطيف» هو الذي يحكى لبيدرو بالآلا أن في ذلك المنزل يحيى لاعراسا، يوجد ذهب عمداً يفقدك العقل. إن صاحب المنزل، كما يبدو، هو جامع تحف، وقد علم «الشارب اللطيف» من أحد اللصوص أنه يوجد في ذلك المنزل غرفة محشوة بالخلى الذهبية والفضية، التي يمكن أن يعود بيدها بثروة كبيرة. وفي فترة قتل الظهور، ذهب بيدرو بالآلا لمشاهدة المنزل، مع «الشارب اللطيف». وكان عبارة عن عبارة عصرية وأنيقة، توجد أمامها حديقة، ومرآب في العمق. وهي مسكن فسح لأشخاص أعيان، وبتصق «الشارب اللطيف» من بين اسنانه، ورسم بصقته زهرة على الرصيف، ثم قال:

- والقول إنه في هذا القصر يسكن عجوزان فقط...

وعلق بيدرو بالآلا قائلاً:

- كوح جميل جداً.

وفتحت خادمة الباب الآمامي، وخرجت إلى الحديقة. وفي اليهو الذي طهر للأنتظار، شاهدوا لوحات معلقة على الجدران، وعلى الطاومات كانت تماثيل صغيرة، واستغرق بيدرو بالآلا بالضحك.

- لو أن «الاستاذ» رأى هذا، لأصيب بالجنون... إذ لم يسبق لي أبداً أن رأيت مثل هذا القدار من الكتب واللوحات.

- سوف يرسم لوحة وحيمة لي، بهذا الكبر... وأشار «الشارب اللطيف» إلى «هذا الكبر» بإعباده يديه احداها عن الأخرى.

ونظر بيدرو بالآلا مرة أخرى إلى المنزل، واقترب قليلاً من الحديقة وهو يصغر. كانت الخادمة تظف الازهار، وكان نهداها النقيان يظهران تحت الثوب المكشوف الرقية والكتفين (الديكولتيه) لأنها كانت منحنية. كانسا نهدان أبيضين، ينتهيان بجلمتين قرمزيتين. نهده «الشارب اللطيف» إلى جانبته.

- يائه من حل يا بالآ

- سد بورك.

لكن الخادمة كانت قد رأتها، وأخذت تنظر اليها وكأنها تسألها ماذا يريدان. حلح بيدرو بالآ كاسكبته وسأل:

- هل يمكنك أن تعطينا قنح ساء إن سمحت. إن الشمس قوية الحرارة. وانسم، ماسحاً بكاسكبته جيته التي كان يسيل عليها العرق. كان شديد الاحرار، تحت الشمس، وشعره الأشقر والطويل ينسرل على أذنيه بتموجات غير منسقة، وقد نظرت اليه الخادمة بعطف، وإلى جانبه، كان «الشارب اللطيف» يمدحن عقب سبجارة، ورحله على جاجر الحديقة الصغر. وخاطبت الخادمة أولاً «الشارب اللطيف» بأزدرأ:

- انزل قدمك من الحاجر يا هذا!

ثم امتست لبيدرو بالآ

- سأحصر الماء فوراً..

وعادت مع كوني ماء، وكاما كوبيين لم يسبق ان رأى مثلها، لشدة جمالها وشرها الماء، وشكرها بيدرو بالآ:

- شكراً حزيلاً

ثم قال بصوت منخفض: جمال ناهو.

أحابت الخادمة، هي أيضاً، بصوت منخفض: - ديك صغير جسور ..

- في أبيه ساعة تمرح من من هنا؟

- يا لك من شخص! إن عدي رجلي وهو ينتظري في الساعة التاسعة مساءً، هند هذه الراوية من الشارع.

- حساً! هذا الماء، سأكون عند الراوية الأخرى.

وذهبا عمر الشارع، و«الشارب اللطيف» يدخر عقب سبجارته وهو يهوي وجهه بالعمة المسديرة، التي كان يحملها، وعلق بيدرو بالآ:

- امي حذات جداً وهذه امرأة ناصحة تماماً...

بصق «الشارب اللطيف»، بعدداً من بين اسنانه.

- أيضاً مع هذا الشعر السوي المستعار الملي، بالخصلات المحمدة...

رفع بيدرو بالآ قصصه في وجه «الشارب اللطيف»:

- دعني من حسدك، أيها الخلاصي المززعج.

وعيره الشارب اللطيف، الحديث:

- ماذا عن قطع التنك؟

- هذا أولاً عمل لأجله ذي الرجل الرخوة، غداً سيجد وسيلة للدخول إلى هذا المنزل، لفضاء بضعة أيام فيه. وبعدئذ، سوف يعرف أين توجد أفضل القطع، ونأتي خسة أو ستة، ونأخذ البضاعة.

- وستفقد طريديتك؟

- الخادمة الصغيرة؟ سوف أنالها هذه الليلة بالذات، وحين تدق الساعة التاسعة، سأكون هناك.

والنفت ونظر إلى المنزل. كانت الخادمة متكئة على الحاجز الحديدي. وحياتها بيدرو بالأ مودعاً، وردت التحية. وبصق الشارب اللطيف:

- يا للشيطان أي حظ لك ألم أر في حياتي مثل هذا الحظ.

في اليوم التالي، حوالي الساعة الحادية عشرة والوصف قبل الظهر، طهر ذو الرجل الرخوة « أمام المنزل. وحين دق الجرس، كانت الخادمة ما تزال تفكر في الليلة التي قضتها مع بيدرو بالا، في عرفتها بحي « عرابيا، إذ أنها لم تسمع رنين الجرس. ودق العلام الجرس ثانية. فظهر من نافذة غرفة في الطبقة الأولى من المنزل، رأس وخطه الشيب لسيدة راحت تنظر إلى « ذي الرجل الرخوة»، وعيناها نظرفان

- ماذا تريد، يا بني؟

- يا سيدتي، اني ولد يتيم.

اشارت له المرأة بأن ينتظر، وبعد نصح دقاتي، كانت عند البوابة دون أن تسمع كلام الخادمة التي كانت تعتذر لأنها لم تسمع رنين الجرس وقالت السيدة

- تستطيع أن تتكلم، يا ولدي

كانت تنأمل اسبال، ذي الرجل الرخوة

- يا سيدتي لم يعد لي أب، ومنذ أيام توفيت أمي إلى رحمة الله...

وأندى شريطة سوداء على ساعده. وهي ساعدة صنعت من شريطة تعة « القطه» الحديدية - الذي اصابه حينئذ عصب شديد

وعاد ذو الرجل الرخوة يقول للسيدة

- ليس لي أحد في العالم، أنا معاق، ولا أستطيع العمل كثيراً ومنذ يومين لم أذق

الطعام، وليس لدي مكان أنام فيه.

كان يبدو وكأنه على وشك البكاء. وكانت السيدة تنظر إليه، متأثرة جداً:

- هل انت معاق، يا بني؟

أظهر ذو الرجل الرخوة، ساقه العرجاء، وسار امام السيدة مبالغاً في عرجه.

وحدقت اليه بعطف:

- يا بني، ماتت امك؟

- الحقيقة لست أدري. لقد أصيبت المسكينة بمرض لا أعرف اسمه، حمى سيئة

فلاقت وحه ربهما بعد خمسة أيام. وخلصتني وحيداً في العالم... لو على الأقل كنت

أستطيع العمل... كنت سأندبر، كنت أستطيع أن اتدبر أمري. ولكن مع هذا

العرج، لا حيلة لي الا في منزل عائلة... ألا نحتاجون إلى ولد صغير ليقوم بالمشتريات،

وليساعد في العمل في المنزل؟ اذا كنتم بحاجة اليي يا سيدتي...

واذا أن ذا الرجل الرخوة، اعتبر أنها ما زالت مترددة، أكمل كلامه بوقاحة،

وصوت ناك

- لو اني اردت لانضمامت إلى هؤلاء الغلمان اللصوص، إلى «فرسان الرمال».

لكسي أنا، لا أأكل من هذا الخبز، اني اريد أن اعمل. ولكن هناك أنني لا أستطيع أن

احتمل عملاً كبيراً. أنا بنيم مسكين، أنا جائع..

لكن المرأة لم تكن أبداً مترددة وكانت تذكر ولدها الذي مات وهو في سن هذا

الغلام والذي قتل موته كل بهجة عيش مع زوجها، وهذا، على الأقل، كانت لديه

مجموعاته من الأهل الفسبة، لكنها، من جهتها لم تكن تملك سوى ذكرى هذا الابن

الذي عادرها في وقت منكر جداً. لذلك كانت تنظر بجنان كبير إلى « ذي الرجل

الرخوة» المرتدي الاسبال السالية. وتكلمه بصوت ليس لطفه هو لطف الأيام العادية.

كان هناك بعض المبهجة في لطف صوتها، وقد اذهل ذلك الخادمة:

- ادخل يا ولدي. لا تقلق. سوف أحد لك عملاً.

ووضعت يداً دقيقة وارسقراطية، يتلألاً فيها حاتم ذو ماسة على رأس « ذي

الرجل الرخوة، القدر، وقالت للخادمة:

- يا ماري - جوزيه، اعدي الخرفة العائمة ثوب المرائب لهذا الولد. وادليه على قاعة

الختمام وأعطيه مشط راؤول وائر ذلك. اعدي له الطعام.

- هل قتل أب اعد الغداء، يا دونا استير؟

- نعم، قتل. منذ يومين لم يأكل، هذا المسكين الصغير.

لم ينس « ذو الرجل الرخوة » كلمة وكان يقوم فقط. بمسح دموعه المتعلقة
بظاهر يده

قالك السيدة . لا تلبك . وأخذت تمسح على وجه الولد .

- انك طيبة جداً فليكنفك الله على هذا ...

واثر ذلك ، سألته عن اسمه ، فأعطى أول اسم خطر بباله :

- أوغست ...

وبعضاً لأنه راح يردد الاسم ، لذاته لكي لا ينسى أنه يدعى « أوغست » ولم ير
بإدى ، بدء انفعال السيدة التي همست قائلة :

- أوغست ، انه نفس الاسم ...

وأضابت بصوت عال ، لأن « ذا الرجل الرخوة » كان الآن ينظر إلى وجهها
المعقل

- امي كان أيضاً يدعى أوغست ... لقد مات وهو في نفس سنك ... ولكس

ادخل يا ولدي اذهب واغتسل ، لكي تأكل

تبعته الدونا استير ، متأسرة . ووثأت أن الحادثة كانت تشير لـ « ذي الرجل
الرخوة » إلى مكان الحتام ، وتعليه مئزر حمام ، ونتجه نحو الغرفة القائمة فوق المرآب ،

لكي ترينها (كان السائق قد أخذ عطلته ، وكانت الغرفة حالية) . اقتربت الدونا استير
وقالت لـ « ذي الرجل الرخوة » ، الذي كان قد توقف عند باب الحمام

- تستطيع أن تلقي عنك هذه الملابس ، واستطعك مساري - حورية ملابس

أخرى ..

راح « ذو الرجل الرخوة » ينظر ، الآن ، إلى السيدة التي كانت تبعد . وكان
عاصباً . لكنه لم يكن يعرف اذا كان غاضباً ضدها أو ضد مـ .

حلت دونا استير امام مصددة زينتها ، وليبتت ثابتة العينين ، والذي يراها يعتقد
أنها تنظر إلى السماء عبر البافذة . لكنها في الحقيقة ، لم تكن تنظر إلى شيء ، ولم تكن ترى

شيئاً . كانت تنظر ، بعم ، ولكن إلى داخل ذاتها ، نحو ذكرى سوات بعيدة ، وكانت
ترى غلاماً صغيراً في مثل سن « ذي الرجل الرخوة » ، وهو ، أي ولدها ، كان لباساً

ثياب مجاز . ويركض عمر حديقة المنزل ، الذي تركوه بعد موته . كان ولدأ مملؤء الحياة
والبهجة ، وكان يحب الصحنك والقفز . وحين كان يتعب من الركض مع المر ، ومن

الصعود إلى أرححة الحديدية ، ومن القاء الكرة المطاطية ، في الباحة ، حيث يكون على
الكلب - الدب (الشيان - لو) أن يلتقطها ، كان يأتي ويجبب بساعده عنق الدونا استير ،

ويقبلها على وجهها ، ويقتى معها ، ناظرأ إلى الكتب المصورة ، متعلماً قراءة الحروف
ورسمها . ولكي يبقياها معها أطول فترة ممكنة ، قررت دونا استير وزوجها أن يعلما

ولدها بداية القراءة في المنزل بالذات . وفي أحد الأيام (هنا اغرورقت عينها الدونا
استير بالدموع) اصابت الولد الحمسى . واتر ذلك ، اجنار العنش الصغير الساب ،

وكانت الأم تنظر اليه مدهوة العينين ، ولم تكن تستطيع أن نعمم أن ولدها قد مات .
كانت صورته - في اطار كبير - في غرفتها ، ولكن كان يجفبه ستار دائماً ، لأنها لم ترد

رؤية صورة ولدها مجدداً ، لكي لا تجدد عيبتها . وحتى الملابس التي كان يرتديها قد
جمعت في حقية صغيرة ، ولم تمسها أحد أبداً بعد ذلك . لكي الآن كانت دونا استير

تسحب معانيح علبة حلالها

وسطة . ببطء شديد ، انجهدت نحو المكان الذي توجد فيه الحقيبة وقرت كرسياً
جلس عليه . وفتحت الحقيبة بيديها المرتجعتين ، وأخذت تتأمل السراويل والكنزرات ،

ولبزة البحرية ، والبيجامات ، وقمصان الليل التي كان ينام بها . وشدت البزة البحرية
على صدرها كما لو كانت تمناق ولدها . وتفجرت دموعها

والآن ، حاء غلام صغير فقير وبيتم ، يدق بابها . وبعد موت ولدها ، لم ترد أن يرادأ
أحريين ، بل تم تكن تحب رؤية أولاد الآخرين ، ولا أن نلاعهم لكي لا تؤجج الألم

الذي يراود ذكراها . ولكن ها هو أحد هؤلاء الأولاد ، فقير وبيتم ، معاق وحزين .
ويقول أنه يسمى « أوغست » مثل ولدها ، قد جاء يدق بابها ، طالباً الخبز والمأوى وقليلأ

من الخنان . لهذا أصحت لديها الشجاعة لتفتح هذه الحقيبة ولأن تخرج منها ري البحار
هذا الأرق ، هذه البذلة التي كان يجمها من بين جميع الملابس الاخرى - . ذلك لأنه ،

بالنسبة للدونا استير ، قد عاد انها اليوم في صورة هذا الولد المعاق واللايس الاسمال ،
وهو يدوق أم ولا أب . لقد عاد ولدها ، ودموعها ليست دموع أم فقط . لقد عاد

ابها ، شاحأ هزيلأ . ومجانأ مع ساق معطوبة ، ومرتديأ الاسمال البالية . ولكن بما
قريب يصعب من جديد أوغست السعيد والمرح ، أوغست الأعوام المنصرمة ، ومن

جديد سيأتي ليحيط بساعده عنها ، وليقرأ أحروف الابجدية الكبيرة .
نهبت الدونا استير . وحملت البزة البحرية الزرقاء . وتناول « ذو الرجل الرخوة »

أفضل وحده في حياته ، مرتديأ هذه البزة .

فلو أن بدلة البحار قد صنعت لأجله ، لما كانت أفضل مما هي عليه الآن . فقد
ناست تماماً « ذا الرجل الرخوة » ، وحين نظر إلى نفسه في المرآة ، نعرف إلى ذاته

نصوبة لقد استحم . وقد وضعت الخادمة البريتانين على شعره ، وعطراً على وجهه .

مضى سيرحل، وادأ لم يكن تأخر على الرحيل، وفي كثير من الاحيان كانت السيدة التي تأثرت لدى روايته قصته، التي كان يرويها عند الساب بصوت يميزق الاحشاء، واستملمته، تظهر علامات واضحة على الندم. وبالسبلة لـ ذي الرجل الرخوة، كانت السيدات تستقبله في ندم، لأن ذا الرجل الرخوة، كان يعتبرهن جميعاً مسؤولات عن وضع حبيح الأولاد الفقراء. وكان يفضهن جميعاً، ويفضن أزواجهن وأولادهن، يفضاه عميقة. وكان اتهاجه الكبير والوحيد تقريباً، هو انأارته ليامس العائلات بعد السرقة، لدى تفكيرها بأن هذا الغلام الجائع الذي اعلمته كان هو الذي استطاع المرل وعين لأولاد جاعين آخرين أماكن وجود الأشياء الثمينة.

ولكن هذا المرة، كان الأمر مختلفاً. هذا المرة، لم يترك في المطبخ مع اساله البالبة، وهو لم يترك للوم في الباحة لقد اعطى ملابس، وغرفة، ووجبة في غرفة الطعام. وقد استقبل كضيف، كضيف محبوب. وهو، أثناء نذخينه سيجارته سراً، كان يسأله في نفسه لماذا ينجني للندخين. انه لا يفهم شيئاً مما يحدث. كان وحده مهموماً إنه يندكر أيام السجن، والصريرات التي توجه اليه، والاحلام التي لم تكلف عن مرادوته، وفجأة احس بالخوف، كان يخاف من أمه في هذا المنزل، سيعامل بطيبة، من أن أصحاب المنزل سيعاملونه بطيبة، أحل. وهو لا يعرف لماذا هو خائف ونهض، وخرج من مخبأه، وذهب للندخين تحت نافذة السيدة بالفضبط. وهكذا سيرون أنه ولد ضال، وأنه لا يستحق العرفة والملاس الجديدة، ووجبات في عرفة الطعام. وهكذا سوف يرسلونه إلى المطبخ، وسوف يستطيع أن يقوم بنجاح بعمله الانتقامي، وأن يغذي الغشاء في قلبه، ذلك لأنه اذا اخفنت هذه الغشاء، فسوف يموت، ولئن يبقى لديه أي سبب للحياة. ومرت امام عينيه رزبا الرجل الذي يرى الجنود ينهلون بالضرب عليه (أي على ذي الرجل الرخوة)، فمبندج (أي الرجل) بضحكة فظة. وهذا ما يجب أن يسمع « ذا الرجل الرخوة » دائماً من أن يرى وجه الدونا اسير المقدم بالطيبة. وبادرة الأب حوزبه يبدرو الحامية له، ونصاصر العضلات الاصرابية لتسامل المساء. جنان دادام. سوف يبقى وحيداً وبغضاه سوف تشملهم جميعاً، بيصاً وزوجاً، رجلاً ونساءً، أعباء، وفقراء. لهذا ينجني أن يكون الناس طبيين نحوه.

وفي فترة بعد الظهور، وصل صاحب المرل والأول من مكبته، كان محامياً شهيراً جداً حقق ثروة من مهنته، وهو يقوم بالتدريس في كلية الحقوق، ولكنه فوق كل شيء، كان هاوي بمجموعات كان لديه رواق ممتاز من اللوحات، والعملات القديمة، والأعمال الصبة الثمينة. وفي هذه اللحظة، كان « ذا الرجل الرخوة » يتفرج على الصور

وهذه البذلة البحرية كانت رائعة. وراح، ذو الرجل الرخوة، يتأمل نفسه في المرآة. وأمر يده على رأسه، ثم على صدره، مملساً ثيابه، وابنسم وهو يفكر في القط. وكان يمكن أن يدع غالباً لكي يراه، القط، في مثل هذه اللانافة. وكان لديه أيضاً حذاء جديد، ولكن الحقيقة هي أن الحذاء كان ينثر قرقه، بعض الشيء، لأن له عقدة شريط، ويشه قليلاً حذاء المرأة. وكان « ذا الرجل الرخوة » يجد أن من الغريب أن يلس - ثوب بجار، مع حذاء نسائي. واتجه نحو الحديقة ذلك لأنه كان يريد التدخين، فهو لم يمسع أبداً عن التدخين بعد الغداء. وأحياناً لم يكن هناك غداء، ولكن دائماً كان هناك عصب سيجارة ما. وهنا، كان يجب الانتباه، انه لا يستطيع أن يدخن على المكشوف ولو أنهم تركوه في المطبخ، مختلطاً بالخدم. كما كانت الحال في المنازل الأخرى، إلى حيث تم ادخاله لكي يسرق اثر ذلك، لكان في استطاعته التدخين، وأن يعمر عن نفسه بلعة، فرسان الرمال، المحترصة لكس هذه المرة، جرى تحميمه، وألس نيباً جديدة. ووضع برانئين على شعره وعطر على وجهه. وائر ذلك، جرى اطعامه في غرفة الطعام. وأثناء تناول الوجبة، كانت السيدة تحادثه كما لو كان غلاماً صغيراً حبس التربية، والآن، أرسلته ليلعب في الحديقة، حيث كان المر الاصفر المسمى « بيرلوك »^(٢٢) يستدفي في الشمس واقترب « ذا الرجل الرخوة » من أحد المقاعد، وأخرج من حبه علبة سحائر رخيصة الثمن فهو، لدى تغييره ملايسه، لم يسس علبة الدخان واشعل سيجارة وبدأ بتدوق دفقات الدخان في الوقت نفسه مع تفكيره في حياته الجديدة لقد سبق أن قام هدا مراراً عديدة: أن يدخل إلى منزل عائلة جيدة كولد فقير، بنيم، ومعاق، وعلى هذا الأساس، كان يبقى في ذلك المنزل الوقت الضروري لكي يستكشف المنزل بصورة كاملة، والمراضح التي خبئت فيها الأشياء الثمينة، والمخارج الثلاثة للهرب. وائر ذلك، كان « فرسان الرمال » يجتاحون المرل، خلال إحدى الليالي. أخذين الأشياء القيمة، وفي المستودع كان « ذا الرجل الرخوة » ينتهج وقد استول عليه فرح هائل، فرح بأنه قد انتقم، لأهم في هذه المنازل، إن كانوا يستقبلونه، واذا كان يعطى خبزاً وصارياً، فذلك كما لسو أنهم يقومون بواجب ممحجر. كان أصحاب المنازل يتلافون الاقتراب منه، ويتركونه في القدارة. وهم لم يصدر منهم أبداً أي كلام طيب. وكانوا ينظرون اليه كأنما لياؤوه

(٢٢) « بيرلوك » أي المظاظ

في أحد كتب الأضغال، ويصحك في نفسه على القليل الإله الذي يمدده القرد ولم يره راؤول بل صعد الدرج، ولكن بعد ذلك فوراً، جاءت الخادمة تدهو « ذا الرجل الروحة » وفادته إلى غرفة الدونا استير، وكان راؤول في القميص، بدون سترة، يدخلن سيجارة، ونظر إلى الرلد مانسامة مرحة. ذلك لأن ملامح « ذي الرجل الروحة » كانت تعبر عن رساك لدى دخوله العرفة.

- ادخل ..

كان « ذو الرجل الروحة » يترحم، ولا يعرف أين يضع يديه، وقالت له الدونا استير بطيبة

- اجلس، يا بي. ولا تحف

جلس « ذو الرجل الروحة » على حافة كرسي، وانتظر وراح المحامي يتفحصه، دارساً وجهه، ولكن كان ذلك معطف، وكان « ذو الرجل الروحة » بعد أجيونه على الأسئلة التي لا يد سما وحكي مرة ثانية القصة التي اختلفوا في الصباح، ولكن حين بدأ يبيكي بدموع عزيزة، دعاه المحامي للترقف، ونهض متحياً نحو النافذة وفهم « ذو الرجل الروحة » أن الرجل قد تأثر، ونتيجة منه (أي « ذو الرجل الروحة ») هذه جعلته يعجز وانسم في دخلته، ولكن الآن اقرب المحامي من الدونا استير. وقلها على الحبيب. ثم في شفتيها. وعرض « ذو الرجل الروحة » عصره وسار راؤول إليه، ووضع يده على كتفه وقال:

- لا تنك بعد الآن الآن لن تعرف الجوع بعد أبداً. أذهب... اذهب والعب،

اذهب وتفرح على الكتب. هذا المساء سذهب إلى السينما. هل تحب السينما؟

- نعم. يا سيدي

وصرفه المحامي مشيراً بيده. وخرج « ذو الرجل الروحة »، ولكنه رأى قبل خروجه راؤول يقترب من لدونا استير ويقول لها.

- أفس قدسة. سوف يحمل منه رجلاً. كانت ساعة الغيب وأضواء الاوار، وفكر « ذو الرجل الروحة » في أن « فوسان المال » في هذه الساعة ير نادون المدينة بمنأ عن طعام

ولسو. الخط. أنه في السينما، حين كان الشاب ينهال ضرباً على الرجل الغف لم يستطع « ذو الرجل لروحة » أن يصرح كما كان يفعل في المرات التي يتعكس فيها من الدخول إلى لبراق الأعلى لسيبا « أربلسا » أو إلى سينا « إينايا جيب » أمأ هما، في سينا « غواراني » الدحمة والمريجة، فكان عليه أن يتناع العليل في صمت، ولي لحظة معينة لم يتسكن فيها

من تحالك نفسه فأطلق صغرة، نظر إليه راؤول صحيح أن المحامي كان ينسم، نكن المؤكد أيضاً أنه اتار بمرحة لكي لا يعود « ذو الرجل الروحة » إلى الصغير.

وإثر ذلك اصطحبه لاحتساء الشرب في مار قائم تجاه دار السينما. وفي حين كان يحسي الشراب الملتح، فكر « ذو الرجل الروحة » في أنه كاد يرتكب حماقة لا علاج لها حين سأله المحامي ماذا يريد أن يشرب وكاد يظلم بيرة مثلحة جداً، لكنه تحالك عنه في الوقت المناسب، وطلب شراب العبيراء.

وفي سارة صعد المحامي إلى المقعد الأمامي لقيادة السيارة، وصعد « ذو الرجل لرحه » إلى المقعد الخلفي، مع الدونا استير التي كانت تدرش معه وكانت المحادثة عسيرة على « ذي الرجل الروحة ». الذي كان عليه أن يصط كلهاته وتعايرته التي كانت بدائية جداً، وملبنة بكلمات فضة وكلمات الدونا استير تسأله عن أمه، وكان « ذو الرجل الروحة » يجب مما يستطع. وبدل هجيداً كنه أذنه: « العاصم سي كان يخلقها لكي لا يفضح أمره في التالي وفي النهاية سيبذل » المنزل في حمر. عراساً وقادت لدونا استير « ذا الرجل الروحة » إلى العرفة القائمة فوق المرأب.

- ألا تحاف اليوم هنا تمردك؟

- كلا، يا سيدي

- ذلك لصعوبة أيام فقط. وإثر ذلك، سأسكك فوق في الغرسة التي كساست

تولدي أوغست.

- لا داعي لهذا. أينها الدونا استير فهذه العرفة هنا جيدة جداً

وانحنت عليه وقبلته.

- ليلة سعيدة، يا صغيري.

خرجت، وأقفلت الباب. ولبث « ذو الرجل الروحة » ساكناً بلا حراك، دون أية حركة، حتى دون أن يجيب على التحية المسائية واضعاً يده على وجهه حيث قلته الدونا استير. لم يكن يفكر في شيء، ولا يرى شيئاً لا شيء، إلا في القلعة الحلوة. هذه القصة التي لم ينلق مثلها من قبل. إنها قلعة أم لا شيء. الآ للقلعة الحلوة على وجهه. وأحسن كأن الأرض ترفقت عن الدوران لحظة القلعة هذه، وأن كل شيء قد تغير ولم يعد هناك في الكون مأسره سوى الاحساس اللطيف بهذه القلعة الأمرية على وجه « ذي الرجل الروحة »

وإثر ذلك، كان رعب أحلام السحر. والرجل ذو الصدرة الذي كان يصحك عنفاً، والحرد الذين يهالون صرماً على « ذي الرجل الروحة » الذي كان يرتكض

برجله المماقة حول العرفة، ولكن فجأة برزت الدونا اسير، والرجل ذو الصدر، والخنود الدين يموتون وسط عمليات تعذيب ليس لها مثيل، ذلك لأن « ذا الرجل الرخوة » كان يرتدي الآن برة جبار، وكان يمسك بيده سوطاً مثل الشاب في السبنا. وممرت ثمانية أيام، وقد حاء بيدرو بالا مراراً عديدة إلى أمام المنزل ليستقط أنباء « ذي الرجل الرخوة » الذي تأخر في العودة إلى المستودع، لقد مر أكثر من الوقت اللازم بـ « حرف » ذو الرجل الرخوة « اماكن الاشياء الثمينة الممكن نقلها، والمخارج التي من شأنها تسهيل الغرار ولكن بدلاً من أن يرى « ذا الرجل الرخوة » كان بيدرو بالا يرى الخادمة التي كانت نظن أنه حاء من أجلها. وفي أحد الأيام، وكان يحدث هذه الخادمة، أدار بيدرو بالا الحديث بكثير من البراعة، نحو « ذي الرجل الرخوة »

- السيدة التي هنا لها غلام، اليس كذلك؟

- هذا ولد صغير تنتنه وهو لطيف جداً.

انتم بيدرو بالا، لأنه كان يعرف أن « ذا الرجل الرخوة » حين يريد، كان يظهر كأفضل علام صغير في العالم. وتابعت الخادمة تقول:

- إنه أصغر ملك قليلاً، لكنه غلام صغير إنه ليس داعراً ولا فاسقاً مثلك، انت الذي بدأت بمجامعة النساء... وكانت تضحك من بيدرو بالا قائلة:

- أنت الذي فضضت بكارتني...

- لا تقولي أشياء خيئة. ثم أن هذه أكذوبة.

- أنا اقمه على ذلك.

كانت تحب أن يكون هذا صحيحاً، وهي، وان لم تصدق ذلك، ولكن كان يروق لها أن تعوله له. ولم تكن تحس فقط أنها عشيقة الغلام، بل أمه أيضاً. بعض الشيء.

- تعال الليلة لأعلمك طريقة ممتعة..

- هذه الليلة، عند زاوية الشارع... ولكن قولني قليلاً: ألا تتدبرين أمرك مع الغلام الذي هنا؟

- إنه لا يعرف حتى ما هو هذا الشيء. إنه بله صغير، وولد مدلل. اسك تتخامن أنت ترى جيداً أنه ليس من النوع الذي يروق لي

ول مرة التالية، أطلع بيدرو بالا في رؤية « ذي الرجل الرخوة »، وكان هذا الاخير ممدداً في الحديقة (والقطير إلى جانبه). وكان « ذو الرجل الرخوة » يفرح على كتاب بلصور، ودخل بيدرو بالا حين شاهده لاسناً نظلاً من الكزيمير الرمادي، وبلوزة حويوية. وحتى شعره كان مسرحاً! وظل بيدرو بالا فترة فاغر الهم، دون أن

يستطيع الصغير « لذي الرجل الرخوة ». وأخيراً مماثل نفسه، وصتفر. ومرعان ما بهض « ذو الرجل الرخوة » على قدميه، ورأى بيدرو بالا في الجانب الأخرى من الشارع، وأشار إليه بأن ينتظره واجتاز البوابة. بعد أن تأكد من أن أحداً لا يحوم في تلك الاماكن.

واتجه بيدرو بالا نحو زاوية الشارع وتبعه « ذو الرجل الرخوة ». وحين أدركه ازدادت دهشة بيدرو بالا أكثر أيضاً:

- لعنة الله عليك! انك تفوح منك رائحة طيبة! يا « ذا الرجل الرخوة ». أبدي « ذو الرجل الرخوة » هيئة متزعجة، لكن بيدرو بالا تابع قائلاً:

- ابلك أكثر أناقة بعشر مرات من « القطه ». عجباً! فإذا جئت هكذا إلى الكوخ - هكذا كان بيدرو يسمي المستودع - فسوف ينقض الآخرون عليك إنك تبدو مثل

دمية حقيقية ..

- لا تلح علي في الطلب... اني اتفحص الأشياء... سيكون الأمر أطول مدة، سوف اهرب. وتستطيع أنت أن تأتي مع الآخرين.

- هذه المرة، لست مستحلاً...

- ذلك لأن الضاعة مقفل عليها بصورة محكمة، هكذا قال « ذو الرجل الرخوة » كادياً

- اجهد لتدبير الأمور

انتر ذلك تذكر.

لقد أساء « الدخيل » التصرف. وقد كاد أن يعترف للشرطة. ولولا دون آينيتها التي اعطته شيئاً ليشربه، ويقوي عزمته عدداً، اذن لما عدت رأيته إنه أكثر هزالاً من سلك حديدي.

وعلى هذا التبا، استأذن للدهاب. موصياً مرة أخرى « ذا الرجل الرخوة » بأن يستعمل

عاد « ذو الرجل الرخوة » ليتمدد في الحديقة. لكنه، الآن لم يعد يرى صور الكتاب. إن ما صار يراه، هو « الدخيل ». كان « الدخيل » هو من أكثر الذين اصطهدهم « ذو الرجل الرخوة » في الحماة. وكان ابن اشخاص عرب، ويتكلم بلهجة عربية وطريفة، وكان هذا يتبع المحال لسبل من السخرية من جانب « ذي الرجل الرخوة ». لم يكن « الدخيل » قوي البنية، ولم ينجح أبداً في تكوين مكانة بين « وسنان الزمائل ». رغم أن بيدرو بالا « الاستاد » قد سعوا لاعطائه الرسائل لذلك وكان

يروق هم أن يكون بينهم أجنبي أو شبه أجنبي. لكن والدخيل وكان يكتسب بمعمليات مثل واختلاس صغيرة، متجنباً عمليات السطو المجازفة، وكان يعلم بحقيقة بضائع رخصته يقوم ببعضها لخدم منازل الأغنياء.

كان ذو الرجل الرخوة، بسبي معاملته بلا شفقة، وبهزأ به، وبلغته الفامضة، ومعقداته الشجاعة، لكن الأن و ذو الرجل الرخوة مضطجع في الحديقة، على العشب الناعم، مرتدياً بدلة جيدة، ومرسح الشعر ومغطراً، وكتاب صور قرنه، كان يسكر في الدخيل، شبه المبت من الجوع، في حين أنه هو، أي ذو الرجل الرخوة، يأكل جيداً ويلبس ملابس جيدة، وليس فقط أن الدخيل قد لاس الموت، ولكن خلال هذه الأيام الثمانية، ما زال فرسان الرمال سبي الملابس، وسبي التغذية، يمارون تحت المطر في المستودع الذي لا سقف له تقريباً، أو تحت الجسور. وخلال هذا الوقت، كان ذو الرجل الرخوة ينام في سرير جيد، ويأكل مأكلاً جيداً ولديه أيضاً سيدة تقبله، وتدعوه ولدها، وأحسن بأنه خائن لجماعته، كان مشابهاً لعامل الميناء الذي كان يتحدث عنه جان دادام وهو يصبق على الأرض، دانساً عليها بقدمه علامة على الأرض. إن عامل الميناء، الذي انتقل أثناء الاضراب الكبير إلى الجانب الآخر، إلى حاس الاغنياء، قد حطم الاضراب، وذهب يجمع الرجال من الخارج للعمل على أرصفة الميناء. ولم يعد أبداً أحد من عمال الميناء يضافحه. ولم يعد أحد منهم يعامله كصديق. وإذا كان ذو الرجل الرخوة، يصعب استثناء في بغضه للحسن الشرطي، فذلك فقط لصالح هؤلاء الأولاد الذين يشكلون فرسان الرمال، كان هؤلاء، رفاقه وصحبه، وكانوا ممانين له، وصحايبا جميع الآخرين.

كما كان يرى ذو الرجل الرخوة، وهو يحس الآن بأنه أخذ بانتخلي عنهم، وأنه أخسب في الانتقال إلى الجانب الآخر. عند هذا التفكير، قام بانعاصه، وجلس كلا، انه لن يموتهم قبل كل شيء. كان هناك قانون الجماعة، قانون فرسان الرمال، والذين يتوون هذا القانون يظردون من الجماعة، ولا يتعدهم أي شيء، طس في هذا العام وما من أحد أندأ خان فرسان الرمال بالطريقة التي كاد ذو الرجل الرخوة أن يموت بها الجماعة. لكي يتحول إلى ولد مدلل، ولكي يصعب واحداً من الأولاد الذين يبالغ أفراد الجماعة بمزاجهم وكتاتهم. كلا، كلا أنه لن يموت فرسان الرمال، لقد كفته ثلاثة أيام لمعرفة أماكن وجود الأشياء المسببة في المنزل. لكن الطعام وخزانة الملابس، والعرفة وأكثر من العسرة والخراطة والطعام وحنان الدوما استبر جعلته يمضي حتى الآن ثمانية أيام لقد اشتراه

هذا الحنان، كما اشتري عامل الميناء بالمال، لكنه حين وصل إلى هذه النقطة، تساءل اذا كان سيخون الدونا استبر. لقد وضعت ثقها فيه. هي أيضاً، مثل فرسان الرمال، تعنتف بقانون في منزلها: لم تكن تعاقب الا حين يكون هناك خطأ، وكانت ترد على الخير ناخبر إن ذو الرجل الرخوة سيخون هذا القانون. سرد على الخير بالشر. وتذكر المرات الأخرى حيث، حين كان يفر من منزل لتسليمه لعملية سطو، كان فرح عظم يتولي عليه. وهذه المرة، لم يكن أي فرح يخفي في دخيلته. إن بغضه ازاء الجميع لم يتلاش، هذا صحيح لكنه كان يستبي أصحاب هذا المنزل لأن الدونا استبر كانت ندعه ولدي، وتقبله على خده. كان ذو الرجل الرخوة يباصل ضد نفسه. إنه يحب لو استمرت حياته هنا، على هذا النحو. ولكن ماذا سيفيد هذا وفرسان الرمال؟ إنه واحد منهم، ولن يتمكن أبداً من أن يكف عن كونه واحداً منهم، لأن في احد الأيام اعتقه الجنود وانهلوا عليه بالضرب، في حين كان رجل ذو صدره سوداء يضحك ضحكاً فظفاً. وصمم ذو الرجل الرخوة واتخذ قراره لكنه راح يتمحص بمجان بوافد عرفة دونا استبر، وهي التي كانت تراقبه لاحطت أنه يبكي.

- أنت تبكي، يا صغيري؟

واختفت من النافذة، وجاءت اليه، وحينئذ فقط، لاحظ ذو الرجل الرخوة أنه كان يبكي. وحفف دموعه، وغض يده. وكانت دونا استبر قد صارت قربه:

- هل أنت تبكي يا أوغست؟ هل حدث شيء ما؟

- كلا، يا سيدتي. انني لا أبكي.

- لا تكذب يا ولدي. انني أرى ذلك جيداً. ماذا حدث؟ هل انت تفكر في أمك؟

واحتذبه نحوها. وحلست على مقعده، وأسندت رأس ذي الرجل الرخوة إلى صدرها الامومي.

- لا تبك، بعد، أمك الآن، لديك ماما صغيرة أخرى، لا تريد سري خريك، وانني ستفعل كل شيء للحلول محل تلك الأم التي فقدتها. (.. وهو سيفعل لها كل شيء، لسحل محل الولد الذي فقدته، هذا ما سمعه ذو الرجل الرخوة، في دخيلة نفسه)

وقلت دونا استبر على الخد الذي كانت سبيل عليه الدموع.

- لا تبك، والأ أصاب الحزن والغم أمك

حينئذ انفجرت شتاً ذي الرجل الرخوة، واستغرق في البكاء، وبكى زمناً طويلاً. مستنداً إلى صدر أمه. وفي حين كان يعانقها، ويسلم لقلاتها، كان يبكي

شدة لأنه سينخل عنها، وأكثر من ذلك أيضاً، لأنه سوف يسرقها. وربما لن تعرف أبداً أن « ذا الرجل الرخوة » لديه احساس بأنه سوف يسرق نفسه، كما أنها تجهل أن سكاها ونجيبه كإنا دعوة للمعفرة.

* * *

ندفعت الاحداث بسرعة لأن راؤول اضطر لقيام برحلة إلى ريو دي جنيرو لأجل أعمال قضائية مهمة وفكر « ذو الرجل الرخوة » بأنه لا توجد فرصة أفضل لأجل عملية السطو

وفي فترة بعد الظهر التي ذهب فيها، راح يتأمل المنزل كله، وداعب ميرلوك القط، وتحدث مع الخادمة. ونظر في كتاب الصور. واثر ذلك ذهب إلى غوفة دون استير وقال لها أنه سيذهب للزفة حتى شارع كامبوغراندي. وهي، حيث استرت إليه بأن راؤول سيحصر له دراجة من الريو. وأنه عدتد سوف يركبها بدلاً من التنزه سيراً على القدمين عبر شارع كامبوغراندي حفص « ذو الرجل الرخوة » عينيه، لكنه قبل أن يخرج مشى نحو دونا استير وقلها. كانت هذه أول مرة يقبلها فيها. وسبب هذا فرحاً كبيراً لها. وأضاف صوت منخفض جداً، نترعاً الكلمات من اعماق ذاته:

– أنت طيبة جداً. أبداً لن أنسى

خرج ولم يعد. وفي تلك الليلة نام في زاويته بالمستودع. وذهب ييدرو بالا مع فريق إلى المنزل. وأحاط الآخرون بـ « ذي الرجل الرخوة » معجبين بملاسه، وبشميره المسرح جيداً. وبالعطر الذي كان يفوح من جسمه. لكن « ذا الرجل الرخوة » قبض على خناق ولد، وذهب يدمدم متذمراً إلى زاويته وبقي هناك يقوض أظافره. دون أن ينام وكان يحس الناقل والغصة، إن أول عاد ييدرو بالا، والآخرون حاملين نتائج عملية السطو. وأعلن له « ذي الرجل الرخوة » أن عملية السطو هذه كانت أسهل عملية على الإطلاق، وأنه لا أحد عرف بها في المنزل، وأن الجميع واصلوا النوم ولعلمهم حتى اليوم التالي كانوا لم يكتشفوا السرقة بعد. وكان يظهر الأشياء الذهبية والعصية.

– غداً، سيدعم لنا غونزاليس مالا كثيراً لقاء هذه الأشياء الثمينة!..

كان « ذو الرجل الرخوة » يغمض عينيه لكي لا يرى. وبعد أن ذهب الجميع

للموم، اقترب من « القط »:

– هل تريد أن تعقد صفقة معي؟

– ما هي هذه الصفقة؟

– اعطيتك هذه الملابس، وتعطيني ملابسك.

نظر إليه « القط »، مفعماً بالذهول. لا شك في أن ثيابه أفضل من ثياب جميع أفراد الجماعة، ولكنها كانت ملابس عتيقة. وهي لا تساوي أبداً قيمة البذلة الجيدة في قماشها الكرمير التي يربدها « ذو الرجل الرخوة » « إنه مريض » هكذا فكر « القط » في حين كان يجيب

– نسألني إذا كنت موافقاً؟ وهل هذا موضع تساؤل؟

وتنادى الملابس. وعاد « ذو الرجل الرخوة » إلى زاويته. وحاول أن ينام.

في الشارع كان يتقدم الدكتور^(٢٢) والأول، مع حارسين كان هما الجنديان معهما اللذان اشيعا « ذا الرجل الرخوة »، ضرباً في السجن. كان « ذو الرجل الرخوة » يركض، لكن الدكتور راؤول كان يدل عليه بالاصبع، فأخذ « الحارسان » إلى نفس غرفة السجن وكان المشهد هو المشهد الدائم: الحود الذين كانوا يلهون يجعله يركض ساقه العرجاء، وينهاتون عليه بالضرب. والرجل ذو الصدر الذي كان يضحك. ولكن هذه المرة، في القاعة، كانت توجد أيضاً دونا استير التي كانت تنظر إليه بعينها الخرسية، وتقول إنه لم يعد ابها، وأنه لخص « وكانت عينا دونا استير تجعلانه يتألم أكثر مما كانت تؤلمه ضربات الخنود، وأكثر من ابلام ضحكة الرجل الفظة.

واستعبط مبللاً بالعرق. وفر من ليل المستودع، وداهمه الفجر وهو يبع عبر الرجال

وفي اليوم التالي، في الليل، جاء ييدرو بالا ليعطيه التعداد التي كانت حصته من الغنمة لكن « ذا الرجل الرخوة » رفضها دون أن يعطي تفسيراً. واثر ذلك، جاء « ذو الكوع الناشف » مع صحيفة تتضمن أخبار لامبياو. وقرأ « الاستاذ » المقال لـ « ذي الكوع الناشف » وراح يتصفح الحريدة. وحينئذ نادى:

– يا « ذا الرجل الرخوة »! يا « ذا الرجل الرخوة »!

هرع « ذو الرجل الرخوة » راكضاً. وترا كص نحوه آخرون، وشكلوا حلقة... وأعلن « الاستاذ » قائلاً:

– هذا يعضك، يا « ذا الرجل الرخوة ».

وقرأ الاعلان التالي في الصحيفة:

(٢٢) الدكتور « هذا اللب »، في المراحل، بنار ليس فقط إلى الالهاء، بل ينج هذا اللب أيضاً للقضاء والحايمين الع. ويصوره عاملة لكل رجل براد تقدم عليه

– ملاحظة من المترجم –

« بالأمس اختفى من الرقم ص شارع في حي ، غراما ، ولد لأصحاب المنزل .
 يدعى أوغست . ولا بد أنه ضاع عبر المدينة التي يكاد لا يعرفها . إن في إحدى قديمه عرجاً ،
 وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وهو يحاول جداً وبرندي بدلة من الكزيمير الرمادي .
 والشرطة تحث عنه لا عادته إلى ذوبه المتألم ، ولكن حتى الآن لم يعثر له على أثر . وسوف
 تعطي العائلة مكافأة جيدة لمن سيعطي معلومات عن الصغير أوغست ، وبعده إلى منزله .
 ظل « ذو الرجل الرخوة ، صامتاً . وكان يعض على شفتيه وقال « الاستاذ :

- إنهم لم يكتشفوا السرقة بعد
 أحاب « ذو الرجل الرخوة ، أعجاباً بأيماءة برأسه . وحين سيكتشفون السرقة لن
 يعودوا يبحثون عنه كولد ضائع . وكثير ما رانداو تكشيرة هربلية وصاح .
 - إن أسرتك تبحث عنك ، يا « ذا الرجل الرخوة » . إن ماماك تبحث عنك لكي
 ترضعك .

لكنه لم يعد يتولى أي شيء ، لأن « ذا الرجل الرخوة » قد انقص عليه ، شاهرأ
 خمره . وكان يمكن بالتأكيد أن يقرر بطن الزنجي الصغير لو لم يسحبه جواو غراندي
 و « ذو الكوج الناشف » من يده . وقد خساف بارانداو كثيراً . وععاد « ذو الرجل
 الرخوة » إلى رابوته موجهاً نظرة بغضا ، إلى الجميع . وأذركه ييدرو بالا . ووضع يده
 على كتفه :

- إنهم يمكن أن لا يكتشفوا السرقة أبداً ، يا « ذا الرجل الرخوة » . وأن لا يعرفوا
 أي شيء . عنك ولا يجب أن تحزن .

- حين سيعود راؤول سوف يعرفون ...

واستغرق في نكاه ونجب وجعلا « فرسان الرمال » مدهولين . إن ييدرو بالا
 و « الاساد » قد فهمها وحدها ، وهذا الأخير هز يديه علامة على العجز . وبدأ ييدرو
 بالا حدشاً ضويلاً حول مريض مختلف جداً . وهناك ، في الخارج كانت الريح تجري
 على الرمال وكان هربها مثل شكوى النين .

صباح مثل نوحه

في حين كان ييدرو بالا يتسلق ساحل الخيل كان يسير معكراً في أنه لا شيء ، في العالم
 أفضل من الدهاب هكذا ، كيما اتفق ، عبر شوارع ناهايا . أن مضعة شارع فقط هي
 معدة بالرفق . لكن الاكثريه الساحقة من شوارع المدينة مرصوفة بالحجارة السوداء .
 كانت قنبا صبايا يحسب على الشارع من نوافذ المساكس القديمة ، ولم يكن احد
 يستطيع أن يعلم ما اذا كان هذه هي خياطة رومانيسكية تنتظر نجي ، روح غني ، أو اذا
 كانت مومساً تنامله عبر شرفة عتيقة جداً ، مزينة بأزهار قليلة . وكانت نسوة يجذب
 سواداً يدخلن إلى الكسائن . وكسائت الشمس تضرب على حجارة الطرقات أو على
 اسعت الحادة ، وهي تصيح ، سطوح المنازل . وعلى شرفة طقة سفلية كبيرة كانت تنمو
 أزهار في صنديق . هذه الأزهار كانت ذات ألوان متعددة ومختلفة ، والشمس
 تؤمس لها حصنها البومية من الضوء . وكانت أجرامس كتيسة الخيل في الساحل تدعو
 النساء المحجبات النواتي كن سرن مجظي مستعجلة . وفي وسط الطلعة ، كان نجي
 وخلصي مسحب على أزهار البرد كان النجي قد ألقاها وحيا ييدرو بالا ، وعند
 مروره الرجبي :

- كيف حالك ، أيتها « الومة - البيضاء » ؟

- وأنت يا نالا ؟ كيف حال هذا الادعاء الضعير ؟

لكن الخلاسي كان قد القى اوهار البرد وكان النجي مهتماً كلياً باللعبة . وتابع
 سدرو بالا طريقه كان « الاستاذ » يرافقه وكان وجهه التحيف ملقى إلى الأمام ،
 وكان من المرهق له قهر الطلعة . لكنه كان ينتم في عيد الهار والتمت ييدرو بالا
 نحوه ، وهاجاً اسامته . وكانت المدينة مبهجة ، مضمورة بالشمس . « إن نهارات ناهايا
 تشه أيام العيد » هكذا كان يفكر ييدرو بالا ، الذي استسلم هو أيضاً للبهجة . كان
 يصغر مقرة ، ويربت برح على كتف « الاستاذ » . وراح كلاهما يصحكان ، وبعد
 قليل ، تحول الضحك إلى استغواق شديد فيه بيد أنها لم يكن في جيوبها سوى مضعة
 فلوس قليلة ، كانا يريدان الاسهل التالية ، ولا يعرفان ماذا سيأكلان لكن روحها

كانتا مئيتين بجبال النهار وبحيرة الانطلاق في شوارع المدينة كانا يسيران صاحكين بلا سب، وقد وضع بيدرو بالا ذراعه على كتف الاستاذ، وس حيث كانا، كان استطاعتها رؤية السوق ومرقاً، السفن للشراعية، بل وحتى المستودع القديم حيث يامان. اشد بيدرو بالا إلى جدار الطلعة وقال له الاستاذ:

- عليك أن تصنع لوحة من هذا... إنه جبل جداً.

اقتلت هيئة الاستاذ:

- أعرف جيداً أن هذا لن يحصل أبداً...

- ماذا؟

- هناك مرات احفر فيها دعائي...

وراح الاستاذ يتأمل المياه هناك، في أسفل، والسفن الشراعية التي تشبه الدمى، والرجال الصغار جداً الذين يحملون أكياساً على ظهورهم.

وتابع كلامه بصوت حاد، وكأن شخصاً ما قد ضربه، قال:

- أنوي أن أصور يوماً كثيراً من الأشياء هنا.

- لديك وسائل ولو أنك دخلت المدرسة.

- ولكن هذا لا يمكن أبداً أن يكون شارعاً بهيجاً، لا...

لم يكن بيدرو أن الاستاذ قد سمع مداخلة بيدرو بالا والآن، كانت عيناه تضيقان في الجهد، وبدا أكثر ضعفاً أيضاً.

- لماذا؟

كان بيدرو بالا مذهولاً.

- أفلا ترى أن كل شيء جميل؟ كل شيء بهيج.

وأشار بيدرو بالا إلى سطوح المدينة السفلى:

- هناك توجد ألوان أكثر مما في قوس قزح...

- هذا صحيح... ولكن إذا القيت نظرة على الناس... بدا لك كل شيء حزيناً

ولست انكلم على الاغنياء. أنت تعرف هذا جيداً. إنني اتحدث عن الآخرين، عن عمال

الموانئ، وعن رجال السوق، أنت تعرف... جيماً هيئة الجامعين، لا أعرف حتى أن

اسم فنكرتي هذا شيء غريب احسن به..

لم يعد بيدرو بالا مذهولاً.

لأجل هذا قاد جان دادام مرات عديدة اضرابات على اوصفة البناء. وهو

يقول أن الاشياء سوف تتغير في يوم من الايام. وستقلب كل شيء.

- لقد سبق لي أن قرأت هذا في كتاب... كتاب لحان دادام. ولو كنت قد

تعلمت في المدرسة، لكان ذلك أفضل. كما تقول. في أحد الأيام، سأكون قد رسمت

كثيراً من اللوحات الجميلة. نهار جميل، وناس سعداء يسيرون، وبصحاكون،

وبنحايين، مثل ناس ناراربه، أليس كذلك؟ حسناً، ولكن أين هي المدرسة؟ أنا

أريد عمماً الفياض برسم منعم بالفرح، يكون النهار فيه جميلاً، ويكون كل شيء في هذه

اللوحة جميلاً. أما أن يكون الناس حزناً، فهذا لا أريده. كلا. إنني أود أن اصنع

شيئاً بهيجاً

- من يدري أنه من الأفضل أن يصنع شيء كما تصنع أنت فهذا يمكن أن يكون

جيداً. وأكثر تأثيراً.

- ماذا تعرف عن ذلك؟ وماذا أعرف أنا؟ نحن لم نذهب أبداً إلى المدرسة.

إنني أرعب في رسم صورة الناس، وصورة الشوارع، لكنني لم أذهب أبداً إلى المدرسة.

وهناك أشياء كثيرة لا أعرفها...

هذا الاستاذ قليلاً، ونظر إلى بيدرو بالا الذي كان يصغي اليه، ثم تابع كلامه

قائلاً:

- هل سبق لك أن القيت نظرة على مدرسة الفنون الجميلة؟ إنها مذهشة جداً،

يا عصني العتيق. لقد تسلمت إليها يوماً، ودخلت إلى احدى قاعاتها واختبأت. وكانوا

جيداً هناك، مرتدين بلورات بيضاء، ولم يشاهدوني. وكانوا يرسمون امرأة عارية،

أه لو كنت استطيع يوماً...

ظل بيدرو بالا ساهماً ونظر إلى الاستاذ، وكأنه، أي بيدرو، كان يعكس ثم

قال، بلهجة جدية:

- هل تعرف كم يكلف ذلك؟

- ماذا؟

- تكاليف المدرسة؟ والاستاذ؟

- ما هي هذه القصة؟

- سوف نشارك في الدع، سندفع لأجل دخولك المدرسة...

راح الاستاذ بضحك.

- إنك لا تدرك المسألة. هناك تعقيدات كثيرة... لا يمكن، كلا. توقف عن

قول حقاقت.

- يقول حان دادام أننا سوف نستطيع يوماً الذهاب إلى المدرسة...

وعادا يسيران ويدا أن «الاستاذ» لم يعد يحسن بيهجة هذا النهار - كما لو أن هذا النهار اتعد، بعيداً جداً عنه. ولطمه بيدرو بالا:

- في يوم من الأيام، أيها الاح المجوز، سوف تضع كومة من الرسوم في قاعة شارع التشيلي. بدون مدرسة، وبدون أي شيء. لا يوجد واحد من طلاب مدرسة الصون يرسم الوجه مثلك... أنت، من هذه الناحية، متوق ..

اسمع ق «الاستاذ» في الضحك وضحك بيدرو هو أيضاً:

- وسوف ترسمي، أليس كذلك؟ وستضع اسمي في أسفل الصورة، هل ستضعه؟ العاروس بيدرو بالا، الفحل، المقدام.

واتخذ وضع مضارع، ماداً ذراعاه. وضحك «الاستاذ» وضحك بيدرو هو أيضاً. وسرعان ما انفجر ضحكها كالتطاناً ولم يهدأ إلا للاحتلاط بجماعة من المنسكمين الذين تحلقوا حول عازف قيثارة. كان الرجل يعزف ويعني لها من مدينة باهيا.

حين قالت لي وداعاً
حملت قلبي صلياً

توقفاً وبعد قليل، راحا يغنيان مع الرجل. ومعهم كان الجميع يغنون، كانوا صيادين، ولصوصاً، وعمال مواني، بل كانت هناك موسس تغني هي أيضاً، وكان الرجل صاحب القيثارة منصرفاً تماماً إلى موسيقاه، بل وحتى لم يكن يرى أحداً.

ولو لم يكن الرجل قد نهض لبضي في طريقه، مستمراً في العزف على القيثارة، ومعياً، لكانا سياتبعه طريقها نحو المدينة العالية. لكن الرجل انصرف، حاملاً معه

هبة الموسيقى وتفرقت الجماعة، ومر بائع صحف، متادياً على صحف الصباح. وتابع «الاستاذ» وبيدرو بالا في صعود الطلعة، ومن ساحة المسرح صعدا شارع

«التشيلي» وسحب «الاستاذ» الطيشورة من جيبيه، وجلس على الرصيف، وبقي بيدرو إلى جانبه. وحين رأيا الشاب والفتاة قادمين، بدأ «الاستاذ» يرسم. وحقق

رسماً. بأسرع ما يمكن. وكان الحبيبان قد اقتربا كثيراً فأخذ «الاستاذ» حينئذ يرسم ملامح وجهيهما. كانت الفتاة تبسم، لا شك في أنها خطيبان. لكنها كانا مستغرقين

في حديثهما بحيث لم يلاحظ الرسم. وتوجب أن يقترب بيدرو بالا نحوها:

- لا نسحق صورة الأنسة، يا سيدي...

نظر الرجل إلى بيدرو بالا، وكاد يجيبه بوقاحة، حين لاحظت الفتاة رسمة «الاستاذ»، ولعلت نظر الشاب إليها.

- ما أجل هذا ..

وراحت تصفق مثل طملة قدمت لها دمية.

التي الشاب نظرة وباسم وتحول نحو بيدرو بالا:

- هل انت الذي رسمت هذا. يا صغير؟

- بل أنه صديقي حد- الرسام «الاستاذ».

كان «الاستاذ» يضيف بعض اللصقات إلى شارب الرجل، الاثني جداً. ثم راح يكمل رسم وجه الفتاة. وهي حينئذ اتخذت وضع من يجري تصويره، وصحكت

الخطيبان معاً ثم تعلقت الفتاة برند حبيبها

وأخرج الرجل محفظته، وألقى قطعة نقود من فئة الألفي ريبس. للتقطعا بيدرو بالا على الطائر. وتامعا طريقها. وبقي الرسم وسط الرصيف، وقد لاحظته عن بعد

بعض الاواس. المائدات من السوق، وقالت احداهن.

- لمص بسرعة، لأن هذه الصورة، هناك، تبدو لي انها اعلان عن فيلم جديد لماربوري ويعنهر أنه شاب جميل جداً.. وهو قوي للغاية أيضاً.

وسمع بيدرو بالا و«الاستاذ» ما قاله الفتاة، وقومها ضاحكين وساروا، يتأبط كل منهما خصر الآخر، يتامعان طريقهما عبر حرية الطرقات

توقفا من جديد امام قصر الحكومة تقريباً. كان «الاستاذ» ينظر، والطيشرة بيده، أن يخرج «زبون أمله» من حافلة الترام وكان بيدرو بالا يصفر إلى جانبه، عما

قريب سوف يملكان النقود الضرورية لدفع نحو غداء جيد، وأيضاً لشراء هدية لـ «كلارا»، صديقة «حبيب الله الطيب» التي في هذا اليوم عيد ميلادها.

اعطت عحوز قصيرة فليس نحو رسمها. وكانت هذه العحوز قبيحة وقد أحترم «الاستاذ» قبحها عبر الرسم. ولاحظ بيدرو بالا قائلاً:

- لو أنك رسمتها بصورة أجل وأق، لكات اعطتك الريد.

حمل «الاستاذ» يضحك. هكذا، مرت فترة قبل الظهر، وكان «الاستاذ» يرسم وحوه الذين يمرون في الشارع. وبيدرو بالا يلتقط قطع النقود الفضية أو النيكلية، التي

كانت تلتقي لها كانت الساعة تعلن الثانية عشرة طهوراً حين ظهر رجل يدخن بمسج سيجارة بيدرو أنه نحو حد. وركض بيدرو بالا يبلغ «الاستاذ» مبهياً.

- ارم صورة هذا الابله فهو يبدو عنياً جداً.

وشرح «الاستاذ» يرسم وجه الرجل التحيف، وبمسج السحابة الكبر جداً، وشعر الرجل المنجم، الذي يمر خارج القبة. وكان الرجل يحمل أيضاً كتاباً بيده، وقد ألت

«الاستاذ» رغبة لا يمكن مقاومتها في رسم الرجل وهو يقرأ كتابه. كاد الرجل يتمد واستلقت يدهو بالا انتباهه:

- انظر إلى صورتك، يا سيدي.

سحب الرجل بسم السحارة الطويل من فمه، وسأل بالا:

- ماذا قلت يا ولدي؟

أشار بيدرو بالا إلى الرسم الذي كان يعمل عليه الاستاذ. كان الرجل يبدو جالساً (ورغم أنه لم يكن هناك كرسي، ولا ما شابه، كان جالساً في الهواء) يدخن بسم السحارة ويقرأ في كتابه. وكان الشعر المجدد يتطاير خارج القبعة. تفحص الرجل الرسم بانتباه، وجعل يتأمل من زوايا مختلفة، لكنه لم يكن يقول شيئاً. وحين اعتبر الاستاذ أن العمل قد انتهى، سأله الرجل:

- أين تعلمت فن الرسم، يا عزيزي؟

- ليس في أي مكان.

- ليس في أي مكان؟ وكيف ذلك؟

- هذا مع ذلك صحيح، يا سيدي..

- وكيف ترسم أنت؟

- أما أروع في الرسم. وأوفق، فأرسم.

بدا الرجل غير مصدق. لكن امثلة أخرى بلا شك مثلت في ذاكرته:

- هل تعني القول أنك لم تتعلم فن الرسم أبداً؟

- أبداً، كلا، يا سيدي.

وأضاف بيدرو نالا. أستطيع أن أؤكد ذلك، فتحن نسكن معاً، وأنا اعرف ذلك جيداً

- إذن، فهذه موهبة حقيقية. هكذا همس الرجل.

وعاد يتفحص الرسم، وسحب نمخة طويلة من بسم سيجارته. وكان الولدان

ينظران إلى بسم السحارة مسحورين

وسأل الرجل «الاستاذ».

- لماذا رسمتني جالساً وأنا أقرأ كتاباً؟

حث «الاستاذ» رأسه، كما لو أنه كان من الصعب الاجابة. وأراد بيدرو بالا

الكلام، لكنه كان متأثراً، ولم يقل شيئاً. وفي النهاية، أوضح «الاستاذ» قائلاً

- فكرت أن هذا يأسك بصورة أفضل

وحك رأسه مجدداً.

- لكنني لست اعرف حقاً لماذا؟

وهمس الرجل بصوت أكثر تخففاً: هذه موهبة حقيقية... قال ذلك بهيئة شخص حقق اكتشافاً.

كان بيدرو بالا ينتظر التقود لاسيا وأن الحارس كان يراقهم بحذر وريبة. وكان «الاستاذ» يرمق بسم سيجارة الرجل، الطويل (أي الميسم)، المشوم، وهو تحفة رائعة، لكن الرجل تابع قائلاً:

- أين تسكن؟

لم يعط بيدرو بالا وقتاً وللإستاذ لكي يجيب. وكان هو، أي بيدرو، الذي تكلم:

- نحن نقطع مدينة القش..

دس الرجل يده في جيبه، وسحب منها بطاقة زيارة:

- هل تعرف القراءة؟

- أجل نحن نعرف القراءة، يا سيدي.

- هذه البطاقة تحمل عرواني وأريد أن تأتي ونسأل عني ولعلمي استطيع أن أفعل

شيئاً من أجلك.

تناول «الاستاذ» البطاقة. وسار الحارس نحوهم. وبيدرو بالا استأذن للذهاب.

- إلى اللقاء يا دكتور.

وكاد الرجل أن يسحب محفظته، لكنه فاجأ نظرة «الاستاذ» إلى بسم السيجارة

فألقى منها السيجارة، وقدم الميسم للولد.

- هذا من أجل صورتك، تعالي وزرني في منزلي.

لكس الولدين اغمدرا بسرعة نحو شارع «الشيل»، لأن الحارس كان قد وصل اليها تقريباً. وكان الرجل ينظر دون أن يفهم، حين سمع صوت الحارس:

- هل سرقا منك شيئاً، يا سيدي؟

- كلا، لماذا؟

- لأنه، نظراً لأن هذين الصبيين كما قرنتك...

- إنها ولدان، ثم إن احدهما أظهر استعداداً ممتازاً للرسم

رد الحارس: - إنها نصاب وهما من عصاة «فرسان الرمال».

- «فرسان الرمال»؟ هكذا سأل الرجل وهو يجهد لكي يتذكر. لقد سبق أن

قرأت شيئاً في هذا الصدد ألا يتعلق الأمر بأولاد مشردين لقطا؟

- لصوص، نعم، هكذا هم.

انتبه، يا سيدي، حين يقتربون منك. وأنظر إذا لم تكن قد فقدت شيئاً ما... أشار الرجل بالنفي. ونظر إلى ناحية الشارع. ولكن لم يبق أي أثر للغلامين. وشكر الرجل الحارس، مؤكداً مرة أخرى أنه لم يسرق منه شيء، ونزل في الطريق وهو بهمس:

- هكذا نفقد فنانين كباراً. وهذا الصبي يمكن أن يصبح رساماً عظيماً!

كان الحارس يتأمل في الرجل. وإثر ذلك علق قائلاً لأرزار بزته:

- بحق تماماً من يقول أن هؤلاء الشعراء ممسوسون، فاقادوا العقل...

كان «الاستاذ» يظهر مبسم السجارة. وكانا قد وصلا إلى خلفية ناطحة سحب، يوجد فيها (أي الخلفية) مطعم ممتاز. وكان بيدرو بالا يعرف كيف يحصل من الطباخ على بقايا الطعام. ووقفا ينتظران طعامها في الشارع الخالي من المارة. وبعد أن اكلا، قدم بيدرو بالا السجائر، وكان «الاستاذ» يتأهب للتدخين مبسم السجارة، الذي اعطاه الرجل له. وسعى لتنظيفه.

- الحيوان نجيف مثل العصا. ويمكن أن يكون مسلولاً...

ونظراً لأن «الاستاذ» لم يجد لأجل تنظيف مبسم السجارة شيئاً أفضل من بطاقة زيارة الرجل. فقد فنلها وأدخلها في مبسم السجارة، وحين انتهى من تنظيفه، رمى الورقة في الشارع. وسأله بيدرو بالا:

- لماذا لا تحتفظ بها؟

- ولأي شيء؟

واستغرق «الاستاذ» في الضحك. وجاراه بيدرو بالا وملأت ضحكاتها الشارع فترة. كانا يضحكان هكذا، بدون سبب، لمجرد متعة الضحك.

لكن بيدرو بالا استعداد جديته:

- كان يبدو أن الرجل قادر تماماً على مساعدتك لتصبح رساماً...

وتناول البطاقة وقرأ اسم الرجل:

وقال: - عليك الاحتفاظ بها، فمن يدري؟

خفض «الاستاذ» رأسه:

- كف عن البلاء، يا بالا. انت تعرف جيداً أنه لا يظهر من وسطنا إلا

لصوص... ومن ترى يمكن أن يهتم بنا؟ من؟ لا شيء سوى اللصوص، لا شيء سوى اللصوص...

كان صوته يرتفع عالياً؛ وأصبح الآن يصرخ في حقد.

هز بيدرو بالا رأسه بالا بيجاب، وتركت يده البطاقة التي سقطت في الساقية. والآن م يعودا يضحكان، بل أصبحا حزنين وسط بهجة هذا الصباح المشمس، هذا الصباح المشابه للوحة رسام من «الفنون الجميلة».

كان عمال يمرون ذاهبين إلى عملهم، بعد فطور الفقراء؛ كان هذا هو كل ما يربانه. كل ما توصلا إلى رؤيته في ذلك الصباح.

* * *